# الباب الثالث

## السِّمات العامة للتعليم النبوي في المساجد والكتاتيب

**١,٣ تمهيد**
**٢,٣ بداية ظهور التعليم في المساجد والكتاتيب وانتشاره قبل الهجرة وبعدها**
**٣,٣ مكانة التعليم في العهد النبوي واهتمامهم بالمساجد**
**٤,٣ الحالة والمواضع التعليمية قبل البعثة وبعدها**
**٥,٣ مواضع التعليم عند المسلمين**
**٦,٣ أسلوب الرسول ، في تعليم الصبيان**
**٧,٣ تاريخ جهود المحافظة على القرآن الكريم**
**٨,٣ أساليب النبي ﷺ في التعليم**
**٣.٩ المراكز والوسائل التعليمية في العهد النبوي**
**١٠,٣ العُلوم المُتَدَاوِلَة في التعليم النبوي**
**١١,٣ أساليب التقويم في التعليم النبوي**

## ١,٣ تمهيد

لقد قامت حركة التعليم في العهود الأولى على أكتاف رجال يعد بهم على أصابع اليد ، ولكن الحافز الديني القوي الذي جعل الأمَّة تحدد أهدافها وتوحِّد قواها لبلوغها أوجد وسطاً ملائماً لانتشار التعليم ، وبعد زمن يسير ظهرت آثار حركة التعليم في إظهار الطاقات الكامنة ، فإذا بأعداد هائلة تُعْنَى بالعلم ، وتظهر القدرة والإبداع في ميادين شتى، فتسهم في بناء الصرح التعليمي والحضاري الجديد .

فتحديد وجهة التعليم وأهدافه لأول مرة كان من معطيات التعليم النبوي ، وقد أدَّت هذه الحوافر القوية والضوابط الجديدة إلى إنتشار التعليم بسرعة خارقة ، إذ لاريب في أنَّ الإسلام أحدث ثورة التعليم التي أثمرت الحضارة الباهرة .

لقد أعاد الإسلام صياغة شخصيّة الإنسان ، ففجَّر طاقاته الإبداعية الكامنة من أجل العلم والعمل لبناء حضارة إنسانية متوازنة ، وكانت نظرية المعرفة الإسلامية بشمولها وتكاملها واتساقها ، وسيلته لإحداث التغيير الجذري في كيان الإنسان وبنية المجتمع ، تلك النظرية التي غرس القرآن بذرتها وعبّر عنها الرسول ﷺ في فجر تاريخ الإسلام .

## ٢,٣ بداية ظهور التعليم في المساجد والكتاتيب وانتشاره قبل الهجرة وبعدها

### ١,٢,٣ <u>التعليم بمكة قبل الهجرة</u>

كانت بداية التعليم في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، مكان اجتماع المسلمين في مكة ، يوم أن كانت أعدادهم قليلة ، يتسربون إليها خلسة خوفا من قريش ، حيث يلتقون الرسول ﷺ ويتعلمون منه أمور دينهم ويتلقون عنه ما ينزل من القرآن.( ابن هشام ،١٣٧٥هـ : ٢٥٣/١)[١]

ومن المعروف أن نفراً منهم كان يعرف الكتابة في هذه المرحلة المبكرة فدوَّن بعض سور القرآن الكريم ، ومما يروى أن عمر بن الخطاب

---

١- و الحاكم ، ١٣٤١هـ : ٣/ ٥٠٢- ٥٠٣.

اطلع على صحيفة فيها صدر سورة طه فتأثّر عند قراءتها وأسلم وهذ الخبر يفيد معرفة عمر القراءة في المرحلة المكية ، ومعرفة خباب وهو الذي كان يقرأ الصحيفة على فاطمة أخت عمر القراءة ، وكان عبد الله بن مسعود_ أول من علّم القرآن بمكة (ابن سعد ،١٩٧٧م : ١٥١/٣)

ولا شك أن ظروف المسلمين الصعبة ومواجهتهم العنيفة مع قريش ، كانت تقف حائلاً أمام توجيه معظم اهتمامهم للتعليم ، إذ أنّ الإستقرار وهدوء البال يساعدان على انتشاره ، كما أن الحاجة العملية للدعوة الإسلامية- في بدايتها- كانت محدودة ،وكان في المسلمين الأوائل عدد من المتعلمين.

## ٢,٢,٣ التعليم بالمدينة بعد الهجرة

كان المكيون أوفر حظاً من الأنصار في انتشار الكتابة بينهم ، وهذا عائد إلى أنَّ الحاجة إلى الكتابة في المجتمع التجاري أوسع ميداناً من المجتمع الزراعي ، يقول الواقدي: " كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلا ، وكان بعض اليهود قد علَّم كتَّاب العربية ، وكان التعليم للصبيان في المدينة في الزمن الأول وعدَّد الواقدي أسماء أحد عشر شخصا يعرفون الكتابة " ( البلاذري، ١٤٠٣هـ : ٦٦٣-٦٦٤)

وهذا العدد يشير إلى أن الجهد الذي بذله اليهود في تعليم العربية كان ضئيلا و محدودا ، ولما أخذ الإسلام ينتشر بين الأنصار ظهرت بوادر حركة التعليم الجديدة ، فقد ذهب رافع بن مالك الأنصاري إلى مكة وتعلم ما نزل من القرآن في السنوات العشرالتي مضت على البعثة من النبي ‘ نفسه (ابن حجر،١٣٢٨هـ : ١٤٤/٢)

وفي بيعة العقبة طلبت الأنصار من الرسول ﷺ بمكة أن " ابعث إلينا رجلا يفقهنا في الدين ويقرئنا القرآن " فبعث إليهم مصعب بن عمير (ابن حجر،١٣٢٨هـ :١٢٤/١).

ثم كانت الهجرة إلى المدينة وقامت دولة الإسلام الأولى ، وكانت متطلبات الدعوة أولاً والإدارة ثانياً تقتضي بذل جهود حثيثة في نشر التعليم.

وقد قام المسجد النبوي بمسؤولية كُبرى في هذا المجال ، ثمَّ عضدته ثمانية مساجد أخرى . (البلاذري ،١٩٧٧م:٢٧٣/١)

والمسجد يجتمع فيه الناس خمسة أوقات للصلاة ، وتنعقد فيه حلقات العلم ، ويخطب فيه كل جمعة ، ويتلى فيه القرآن ، وقد استمرت أهميَّة المسجد التعليمية قروناً طويلة بعد ذلك.

وفي الجانب الشمالي من المسجد النبوي تقوم الصُفَّة التي سكنها فقراء المهاجرين والأنصار والقادمين من الغرباء ، وهم منقطعون للعلم والعبادة والجهاد ، وقد وردت روايات تُفيد بأن تعليم القراءة والكِتَابة كان ضمن النشاط التعليمي في الصُفَّة ، وأنَّ مِمَن تولى هذه المهمة عبادة بن الصامت [١]، قال عبادة بن الصامت: "عَلَّمتُ ناساً من أهل الصُفَّة الكتابة والقرآن " (أحمد بن حنبل ،١٣١٣هـ: ٣١٥/٥).

وإلى جانب المسجد قامت مراكز أخرى للتعليم في المدينة كما يشير قول ابن مسعود: (( قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد بن ثابت له ذُؤَابَة في الكتاب )) (أحمد بن حنبل ،١٣١٣هـ: ٣٨٩/١)[٢]، وكما أخبر أنس بن مالك عن وجود الكُتَّاب والمؤدبين في عصر الراشدين (ابن سحنون ،د.ت : ٤٠-٤١).

ولا نعرف مدى انتشار هذه الكتاتيب داخل المدينة وخارجها ، ولكن ثمة إشارة إلى وجود كُتَّاب في الطائف ، حيث كان جرير بن حية الثقفي يعلمفيه (ابن حجر، ١٣٢٨ هـ :٤٦٢/١)

وقد وردت إشارة عن " دار القراء " بالمدينة ، وكانت قائمة بعد بدر الكبرى ( الخزاعي ،١٤٠١هـ: ٨٠) ، على الأقل ولا نعرف طبيعة

---

١ أبو داود، ١٣٧١هـ -: ٢/ ٢٣٧؛ ابن ماجة،١٩٥٣م : ٢/ ٣؛ المعرفة المزيد عن أهل الصفة راجع : أكرم العمري ، ١٤٠٣هـ : ٩٦.

٢ – والخطيب ، ١٤٠٣هـ : ٩٢/٢.

الدور أو المهام الموكلة إليها ، ولكن اسمها يدل على الاهتمام بقراءة القرآن الكريم.

وقد استفاد الرسول ﷺ من بعض أسرى بدر من المشركين في تعليم عشرة من غلمان الأنصار الكتابة مقابل فدائهم ، وممن تعلم منهم زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار. (أحمد بن حنبل ،١٣١٣هـ :٤٧/٤)[١].

وقد وردت أخبار عن رُوَّاد التعليم في ذلك العصر، فقد كان عبد الله بن سعيد بن العاص الأموي كاتباً ، فأمره النبي ﷺ أن يعلم الكُتَّاب بالمدينة وكان يعلم الحكمة أيضا . (ابن حجر ،١٣٢٨هـ :١٠٢/٢-١٠٣).

ومن هؤلاء الرواد عبد الله بن سعيد بن العاص الذي أمره النبي ﷺ أن يعلِّم الكُتَّاب بالمدينة ، وكان كاتباً ، وقضى يوم بدر شهيداً. (ابن حجر، ١٣٢٨هـ :٣٤٤/١)[٢].

وكانت الشفاء بنت عبد الله العدوية القرشية من أوائل المهاجرات ، وقد أمرها النبي ﷺ أن تعلم حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وهذه أقدم إشارة إلى تعليم المرأة المسلمة الكتابة . (ابن حجر،١٣٢٨هـ: ٧٢٧/٧-٧٢٩)[٣].

وكان سعد بن عبادة_ زعيم الخزرج " يكتب بالعربية ، ويُحْسِن العوم والرمي ، فكان يقال له الكامل ، وكان جهيم بن الصد المطلبي قد تعلَّم الخطَّ في الجاهلية ، فجاء الإسلام وهو يكتب ، وقد كتب لرسول الله ﷺ (ابن حجر ،١٣٢٨هـ:٥٢٤/١) ، "وكان عمر بن الخطاب كاتباً وقد كتب بعض الآيات بيده" . (الطبري، ١٣٨٨هـ : ١٥-٢٤).

ومن رواد التعليم الأوائل في المسجد النبوي بالمدينة سعد بن الربع الخزرجي وبشير بن سعد بن ثعلبة وأبان بن سعيد بن العاص ﷺ(ابن عبد البر، د.ت:٦٤/١)[٤].

---

١ - وابن سعد: ١٩٧٧م ٢/ ٢٢وأبو عبيد،١٣٨٨هـ -١٩٦٨م :١١٦، و الحاكم، ١٣٤١هـ: ٢/ ١٤٠، و المقريزي ،١٩٤١م:ص ١٠١، و الخزاعي، ١٤٠١هـ:ص ٧١.

٢- و انظر لابن عساكر، د.ت : ٧/ ٤٣٨

٣ – والخزاعي ، ١٤٠١هـ:٧١- ٧٣ .

٤ - و ابن سعد ،١٩٧٧م : ٣/ ٣١ . وابن حجر، ١٣٢٨هـ: ١/ ١٠

وكان من ثمار السياسة التعليمية التي اختطها الرسول ﷺ ازدياد عدد الكاتبين في المجتمع الإسلامي حتى بلغ عدد كتاب النبي ﷺ وحدهم حوالي خمسين كاتباً ، منهم من كتب الوحي مثل علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وحنظلة بن الربيع ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبان بن سعيد، وخالد بن سعيد ، ومنهم من كان يكتب أموال الصدقات كالزبير بن العوام وجهيم بن الصلت ومنهم من كان يكتب المداينات والعقود مثل عبد الله بن الأرقم الزهري والعلاء بن عقبة (الكتاني ،د.ت:١/١١٥-١١٧)[١].

واستقدم سعد بن أبي وقاص رجلاً من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الأجر (ابن سحنون، د.ت:٣٧).

كان التعليم يشمل الرجال والنساء ، فقد خَصَّص الرسول ﷺ للنساء مجلساً في المسجد النبوي بالمدينة (البخاري،د.ت:١/١٩٢ح٣٦) ، وذلك إجابة لطلبهن كما أمرالرجال ، وقد قال لهم مرة : "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم " ،وقد أثنت عائشة~ على نساء الأنصار لطلبهن العلم (البخاري،د.ت:١/١٩٢ح٣٦).

كانت صفوف النساء في المسجد خلف صفوف الرجال، ولم تعقد حلقات علمية مختلطة ،ومنذ ذلك الوقت ظهر الأخذ بمبدأ عدم الاختلاط في التعليم ، ولا يزال طابعه يغلب على حياتنا ، مع أن مؤسستاتنا التعليمية الحديثة قد تأثرت بأسلوب التعليم المختلط الغربي .

## ٣,٢,٣ انتشار التعليم في البوادي والأمصار الجديدة

أخذ التعليم في البوادي القريبة من مكة والمدينة ينتشر منذ عصر الرسالة، فقد أرسل النبي ﷺ بعثات التعليم إلى البادية، وكان منها وفد الرجيع إلى عضل والقارة؛ لتعليمهم شرائع الإسلام، وكان يضمُّ عشرة من

---

١ - و الجهشياري، ١٤٠١هـ ١٩٨١م : ١٢- ١٣،و الخزاعي، ١٤٠١ هـ-: ١٥٩- ١٧٣.

الصحابة ﷺ ، وقد تعرض بنو لحيان للوفد فقتلوهم ولم ينج منهم سوى اثنين أسروهما وباعوهما لقريش فقتلهما (البخاري ،د.ت :٣٨/٧).

ووفد بئر معونة كان يضم سبعين من القراء توجهوا إلى نجد حيث تعرضوا لغدر الأعراب ، وقُتِلُوا جميعا باستثناء واحد عاد بخبرهم إلى المدينة (البخاري،د.ت:٣٨٦/٧-٣٨٨).

بعد أن أبقى الرسول ﷺ معاذ بن جبل بمكة بعد الفتح ليُفقّه النَّاس في الدِّين ويعلمهم القرآن (ابن هشام ،١٣٧٥هـ :٥٠٠/٢)[١] ، ثم بعثه قاضيا إلى الجند- من اليمن- ليعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم (ابن سعد،١٩٧٧م: ٣٨٨/٧)[٢] " وكان معاذ معلماً يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت " ( الطبري،١٩٦٩م :١٨٥٢/١-١٨٥٣).

كذلك بعث الرسول ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى أهل نجران ، بناءاً على طلب وفدهم " أن يبعث من يعلمهم السنة والإسلام " (أحمد بن حنبل ،١٣١٣ هـ :٢١٢/٣)[٣]، ثم أرسل إليهم عمرو بن حزم بعده ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم ، وذلك في السنة العاشرة للهجرة . (الطبري،١٩٦٩م:١٨٥٢/١)[٤].

وتنقطع أخبار إرسال البعثات التعليمية في خلافة الصديق، وربما يرجع ذلك إلى أحداث حركة الردة الخطيرة حيث لم تعد البوادي آمنة، ثم تنشط هذه البعثات بعد إعادة توحِيد الجزيرة والتوسع في الفتوح في خلافة عمر .

فقد بعث عمر رجلاً يقال له أبو سفيان يستقرئ أهل البوادي القرآن فمن لم يقرأ ضربه بالسوط (ابن حجر،١٣٢٨هـ : ١٥١/١).

وقد اعتبر عمر التعليم من المسؤوليات المنوطة بالولاة في الأمصار فقد ورد في إحدى خطبه : " اللهم إني أشهدك على أمراء

---

١ - والخزاعي،١٤٠١هـ: ص ٦٧ .
٢ - و ابن عبد البر، د.ت: ١/ ٢٤٦.
٣ - ابن سعد ، ١٩٧٧م:٤١١/٣-٤١٢.
٤ - والخزاعي ، ١٤٠١: ص٧٩.

الأمصار ، فإني بعثتهم يعلمون الناس دينهم وسنة نبيهم " (أحمد بن حنبل ،١٣١٣هـ: ٤٨/١)[١]، وقد أكد هذا المعنى في مناسبة أخرى.

كان عمال عمرعلى الأمصار يدركون هذه المسؤولية ، فقد صرح بها أبو موسى الأشعري حين قدم البصرة واليا فقال : " بعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلمكم كتاب ربكم وسنتكم " (الدارمي ،١٤١٢هـ ١٩٩١م : ١٣٥/١).

كان أبو موسى الأشعري يقرئ تلاميذه القرآن بعد أن يجلسهم حلقاً حلقاً ، وعليه بردان أبيضان (الفاكهي ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م :١٠/٤).

قد أولى أبو موسى الأشعري القراء في البصرة عناية خاصة ؛ فازداد عددهم ، وقويت مكانتهم الفكرية والسياسية ، وكان لهم دور في كثير من الأحداث في صدر الإسلام ( العلي ،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م : ص١٥)

لم يكتف الخليفة عمر بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم ، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة ، محملين بوصاياه ، فقد بعث عشرة من الصحابة ﷺ وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزني ليفقهوا الناس بالبصرة (ابن حجر،١٣٢٨هـ:٢٤٣/٤).

كذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة (ابن حجر،١٣٢٨هـ:٧٠٥/٤-٧٠٦).

يروي قرظة بن كعب أنه لما أراد الذهاب مع عدد من أصحابه إلى الكوفة شيعهم عمر بن الخطاب وقال: " إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدويِّ الخل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جَرِّدُوا القرآن ، و أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ. (ابن سعد،١٩٧٧م:ص٦-٧).

فقد سير عمر عبد الله بن مسعود إلى الكوفة ليعلم أهلها أموردينهم ، وكان نصيب الكوفة من الصحابة كبيراً إذ هبط فيها ثلاثماثة من أصحاب الحُدَيْبيَّة وسبعون من أهل بدر . (ابن سعد،١٩٧٧م:ص٦-٩).

وأرسل عمر معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الدرداء إلى الشُام ؛ لأن أهلها بحاجة إلى من يعلّمهم القرآن الكريم (ابن

---

١ - وابن سعد ،١٩٧٧م : ١٤٩/١.

عسكر،د.ت:ص٢٣) ، فكان عبادة في الشام قاضياً ومعلماً (ابن عبد البر ، د.ت:٤٢٤/٢).

ثمَّ قد نظم أبو الدرداء طلابه ، ووزعهم في مجموعات لكثرتهم واستحالة قيامه بتعليمهم بطريقة مباشرة ، وراعى تدرجهم في العلم عند تقسيمهم ، فكانت المجموعات متباينة المستوى ، قال سويد بن عزيز: " كان أبو الدرداء إذا صلَّى الغداة في جامع اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرةعشرة ، وعلى كل عشرة عريفا ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلطأحدهم رجع إلى عريفهم ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك ، وكان ابن عامر عريفا على عشرة ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر، قال أبو الدرداء : " أعدد مَن يقرأ عندي القرآن ، فعددتهم ألفاً وستمائة ونيفا ، وكان لكل عشرة منهم مقرئ ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائما ، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء " (ابن الجزري،١٣٦٤ هـ١٩٤٥م: ٦٠٦/١-٦٠٧).

### ٣,٣ مكانة التعليم في العهد النبوي واهتمامهم بالمساجد

لقد كانت معاهد العلم في العهد النبوي والصحابة ﷺ هي المساجد ، فالمسجد هو عصب الحياة في ذلك الوقت وهذه المكانة التي حظيت به المساجد يدفعنا إلى دراسة تاريخها وبالتالي إلى كيفية نظام التعليم المعطى فيه .

كان أول عمل قام به رسول ﷺ حين وصوله إلى المدينة هو بناء المسجد ولم يكن التصرف منه ﷺ عبثاً ، وإنما كان إشارة إلى أن المسجد أحد دعائم حياة المسلم ، وليكون منطلق التعليمات والتوجيهات إلى هذا المجتمع الجديد ، وفي المساجد يقوم المسلم بتأدية فرائض الله عليه فيشعر أنه واحد من أعضاء المجتمع غير منفصل عنه .

ويركّز ابن تيمية (١٤٠٦هـ: ص٣٥-٣٩) على هذا المعنى بقوله : " وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد ، فإن النبي ﷺ أسَّسَ مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم

والخطب ومنه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء ، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم ، وكذلك عماله ﷺ في مثل مكة والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى " .

فنستنتج من هذا أن من وظائف المسجد التعليم ، فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً وخاصة إذا كان التعليم لأمر من أمور الدين ، وهكذا استمرّ الحال في عهد الصحابة ﷺ ، فيذكر السيوطي أنَّ " المتبع أن يبني مسجد جامع ومساجد صغيرة في كل بلد يفتحه المسلمون ، كما روي أن عمر بن الخطاب لما فتح الله عليه البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة ، وكذلك كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة ، وإلى عمرو بن العاص وهو على مصر وأمرهما بذك الأمر . (محمود، د.ت : ص ٣٧)

ولكن بعد عهد الصحابة ﷺ ، فإن وظائف المسجد بدأت تتقلص فقد قلّت أهمية المسجد من الناحية السياسية ، وذلك لأن الحكام والولاة اتخذوا لهم أمكنة أخرى ودواوين وقصوراً يمارسون فيها أعمالهم بعيداً عن المسجد ، واتسعت وظيفة المسجد في جانب آخر هو التعليم فأصبحت مساجد كثيرة مدارس للتعليم بل لم يقتصر التعليم فيها على العلوم المتصلة بأمور الدين كما كان عليه الحال في أيام النبوي ، وإنما اتسعت دائرة العلوم التي تدرس في المسجد حتى تناولت كل المعارف الإنسانية تقريباً.

## ٤,٣ الحالة والمواضع التعليمية قبل البعثة وبعدها

### ١,٤,٣ الحالة التعليمية عند العرب قبل الإسلام

كان العرب قبل الإسلام أمة أميّة كما ورد وصفهم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورةالجمعة :الآية٢] ، و"أميون جمع أميّ وهو من لا يقرأ ولا يكتب"( ابن عادل ، ١٩٩٨م : ٢٠٣/٢) ، وهم ينقسمون جملة إلى بدو وحضر، والأميّة صفة أغلب أهل البدو، بل " إنّ جميع عرب البوادي كذلك "( الألوسي ،د.ت : ٣٨/١).

لكن هذه الأميّة لم تصدهم عن أن يكونوا من ذوي العلم ، الحريصين على العلم والتعليم ، إذ إنّ " العرب جيل من الناس لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام ، والفصاحة في المنطق ، والذلاقة في اللّسان ، ولذلك سموا بهذا الاسم ؛ فإنّه مشتق من الإبانة ، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه" ( الألوسي ،د.ت: ٨/١).

فنظراً لما كان للشعر عند العرب من مكانة عظمى، فإنّ أيّ قبيلة منهم كانت إذا نبغ فيها شاعر وبرز عن أقرانه وبزّ أترابه أتت القبائل فهنأتها بذلك ويولمون ، فيطعمون وتجتمع النساء للعب والطرب فرحاً وسروراً واستبشاراً بهذا الحدث العظيم ، لأنّ في نبوغه حماية لأعراضهم وذباً عن أحسابهم ورفعاً لذكرهم وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ المعروف من عاداتهم أنّهم كانوا لا يولمون ولا يهنئون إلا بغلام يولد أو فرس تنتج أو شاعر ينبغ فيهم . ( الألوسي ، د.ت: ٣/ ٨٢).

والسبب في ذلك راجع إلى أنّ كلّ أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأنْ تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها ( الجاحظ ، ١٩٦٥م : ٧٢-٧١/١).

بالإضافة إلى اهتمام العرب بعلم اللغة من شعر وخطابة ، فإنهم كانوا يهتمون أيضاً بتعليم مكارم الأخلاق وحميدها ، إذ كان يلي تعليم اللّسان عندهم في الدرجة الثانية تعليم الأخلاق الجميلة والصفات العلية فكانوا يُشبون أبناءهم وبناتهم على أخلاق تنفع كلاً في خطته من المجتمع في اصطلاحهم.

فضلاً عن ذلك كان لأفراد قلائل منهم اهتمام ببعض العلوم الأخرى ، وإنْ لم تكن شائعة شيوع الشعر والخطابة مثل الطبّ والنظر في النجوم (علم الفلك) وغيرها.

فهذا مجمل القول في أهم العلوم التي كانت شائعة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، وهي علوم مناسبة لبيئتهم وجارية على ما تقتضيه

حاجاتهم في الحياة ، كانت لهم أسواق ومجالس آداب تشبه في كثير من الوجوه الأندية اللغوية والمجامع العلمية التي نعرفها اليوم (عبد الدائم ، ١٩٨٤م : ص١٣٧).

وبالرجوع إلى كتب الأدب العربي نقف على أشهر الأسواق التي كانت محلاً لتناشد الأشعار وهي سوق عكاظ ومكانها قرب الطائف ، وسوق مجنة ومكانها قرب مكة ، وسوق ذي المجاز ومكانها جهة عرفة . ( ابن خلدون ،١٩٩٦م : ٥٨٤ )، وزيادة على ذلك ، فإنّ المجتمع وما فيه كان مكاناً مفتوحاً للتعليم ، حيث يتعلم الصغار من الكبار تلقائياً عن طريق الممارسة والمحاكاة والسّماع.

## ٣,٤,٣ الحالة التعليمية عند العرب بعد البعثة

التعليم في عصر الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ : كانت بداية التنـزيل هي نفسها بداية التعليم ؛ إذ من المتفق عليه بين العلماء أنّ أول الآيات نزولاً[1](ابن حجر ،١٩٧٨م ٥٢/١-٦١) قولـه تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورةالعلق:الآية١-٥].

ففي هذه الآيات دعوة صريحة إلى القراءة وحثّ على التعلم، وفي ذلك كلّه تنبيه لطيف ، وتوجيه سديد ، لأهمية التعليم وتعظيم لأمره في الإسلام ؛ إذ بدأ الوحي بالدعوة إلى القراءة باسم الله ، وذكـر القلم لأهميته في الـعلم والتعليم ، وأنّ الله ﷻ بفضل منه وكرم علّم الإنسان ما لم يعلم.

وبناء على ذلك ، فإنّ سيرة الرسول ﷺ هي بذاتها مسيرة التعليم الإسلامي وتجسيد له في عصر التنـزيل ، وأما بعد وفاته ﷺ فقد تصدى الصحابة ﷺ لمواصلة التعليم على شاكلة مسيرة التعليم النبوي ، ولهذا التشـاكل كانا بمثابة عصـر واحد ، فأما سيرة الرسول ﷺ فقد جعلها الله ﷻ أسوة حسنة وقـدوة للأنام جميعاً كما ورد ذلك في قولـه تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴾ [سورةالأحزاب:الآية٢١].

ومعنى ذلك أنّ حياة الرسول ﷺ منذ البعثة حتى الوفاة كانت سيرة

---

١ - وقد أخرجه البخاري في كتاب الوحي وفي هذاالحـ ديثإشـ ارةصـ ريحةإلـ ى أنّ أولمـ ا نزل من القرآن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق. انظر: البخاري ، د.ت : ح٣.

تعليمية لتبليغ مفردات الإسلام جميعها لمن كان حوله من المسلمين.

وقد أدرك الصحابة ﷺ هذا المغزى العظيم من سيرة الرسول ﷺ فكانوا حريصين على ملازمته ليلاً نهاراً، بل إنّ بعضهم نذر نفسه لملازمة الرسول ﷺ ملازمة دائمة مثل الصحابي الجليل أبي هريرة .

وأما من لم يتمكن من ملازمة الرسول ﷺ الوقت كلّه فقد اهتدى بنور الله لأمر مكنّه من تعلم السيرة النبويـة ومتابعة ما أنزل كلّه ، وإن لم يلازمه ملازمة مستمرة ، وذلك بأن يتخذ خليلاً له يتناوبان على ملازمة الرسول ﷺ والسّماع منه والتعلم ، حرصاً على ألا يضيع شيء مما أمر الرسول ﷺ بتبليغه للمؤمنين.

إنّ التعليم في عصر الرسول ﷺ كان تعليماً منفتحاً ومستمراً؛ وأعني بالمنفتح أنه كان تعليماً للناس جميعاً وليس تعليماً نخبوياً ، فليس خاصاً بجنس دون آخر ولا بفئة دون أخرى ، فلم تكن هناك حجب بين المعلّم الرسول ﷺ ، والمتعلم وهم صحابته ﷺ الذين عاصروه ورضوا بالإسلام ديناً ، زد على ذلك أنه كان مستمراً حيث استغرق هذا التعليم حياة الرسول ﷺ منذ البعثة حتى وفاته ، إذ الرسـول ﷺ نفسـه حصر مهمته في التعليم كما قال : (( إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا ))( مسلم ،١٣٧٥هـ: ح ٣٧٦٣) ، وهذا التبليغ يؤدى عن طريق عملية تعليمية يتلازم فيها القول والعمل معاً.

ولقد أُمر الرسول ﷺ بالتبليغ والبيان معاً؛ فلم يستغن عن التبليغ بالبيان ولا بالبيان عن التبليغ ، والسبب في ذلك أن التعليم بتبليغ ما أنزل إليه لا يُجْد نفعاً إذا لم يتبيّن للمبلَّغ المراد منه ، بل لا بّد من بيان وتوضيح ما أمر بتبليغه.

إن الناظر في سيرة الرسول ﷺ وسنته الشريفة يجد أنه ‘كان حريصاً على تعليم الناس ، وكان يقصد من عملية التعليم هذه هداية الناس جميعاً لدين الله ، ولذا ، فقد كان يعلم الناس دون ملل أو فتور، وفي حالتي الضعف والقوة ، وكان تعليمه الناس على طريقتين:

أولهما : وهي الأكثر ، أن يملي على حاضري مجلسه من القرآن والتربية الخلقية والمواعظ وأخبار الأنبياء السابقين. والثانية : جوابه عن أسئلة السائلين والمسترشدين وما يدور بينه وبين أصحابه من أطراف الحديث . ( ابن عاشور،١٩٨٨م: ص٤٣-٤٤).

وقد بلغ من حرص النبي ﷺ على العلم والتعليم أنْ جعل فداء

الأسرى ببدر مقابل تعليم القراءة والكتابة لعشرة من أبناء المدينة[1].

ولذا أصبح اللّسان العربي يكتسب بطريق التعلم والتعليم بعد أنْ كان سليقة في المسلم العربي آنذاك ، يتكلم فيعرب عما في نفسه ، ويسمع الخطاب الشرعي فيفهم المراد منه.

## ٥,٣ مواضع التعليم عند المسلمين

الاهتمام بالعلم يقتضي أيضاً الاهتمام بالمواضع التي يدرّس فيها، فيتم نقله من جيل إلى آخر، لم يكن للمسلمين الأوائل من الصحابة ﷺ مكاناً معيناً للتعليم ، فكان الرسول ﷺ يعلّمهم حيثما تيسر له ذلك ، فقد يكون التعليم في إحدى بيوتات المسلمين أو أي مكان آخر يلتقون فيه ، ولما هاجر الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ إلى المدينة اتخذ بها مسجداً، وجعله موضعاً للتعليم حيث كان يجلس لأصحابه ولاسيَّما دبر كلّ صلاة ليعلمّهم ويبيّن لهم تعاليم الإسلام ولذا، كانت الانطلاقة التعليمية المنظمة من المسجد.

! **المسجد**: أول أمر يلفت الانتباه بخصوص المسجد أنّ الرسول ﷺ أشار إلى أنّ الأرض جميعها جعلها الله له ولأمته مسجداً، كما ورد في قولهﷺ ((وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًاوَطَهُورًا))(البخاري،د.ت:ح٣٢٣)[2].

فإذا كانت رسالة المسجد الأساس تتمثل في تعليم المسلمين وتربيتهم ، كما كان شأن الرسول ﷺ مع أصحابه ﷺ ففي ذلك تنبيه لطيف وإشارة خفية إلى أنّ الأرض كلّها تصلح مكاناً للتعليم ، كصلاحيتها لأنْ تكون مسجداً.

ثم اتخذ الرسول ﷺ مكاناً معيّناً من الأرض وبنى فيه مسجده، وجلس فيه لتعليم المسلمين ، فكان الرسول ﷺ أول من سنّ لنا اتخاذ المسجد مكاناً للتعليم كما هو مكان للعبادة ، وهذه السنّة الحسنة كانت لها أثر عظيم في الأجيال الإسلاميّة التي تلت عصر الرسول ﷺ ، حيث " إنّ المسلمين

---

١ - أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: (( كَانَ نَاسٌ مِنَ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ' فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلادَ الأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ )) . (انظر :١٣١٣هـ: ٢١٠٦ ).

٢ ومسلم، ١٣٧٥هـ -:ح ٨١٠ولفظه ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ))

في عصورهم الأول توسعوا في فهم مهمّة المسجد ، فاتخذوه مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم" ( شلبي ،١٩٧٨م : ص١٠٢ ) وبكلمة جامعة ، فإنّ المسجد كان المركز الأساس الذي يدير شؤون المجتمع الإسلامي في جميع نواحي الحياة وشتى الأنشطة الاجتماعية.

وأما موضوعات التعليم في المسجد فقد كانت خاضعة لأنواع العلوم المتعارف عليها في المجتمع الإسلامي.

وأما أسلوب التعليم ونظامه ، في المسجد ، فهو أن يجلس الشيخ غالباً ما يكون بجانب أسطوانة في المسجد ، ويتحلق الطلبة من حوله ، فيلقي الشيخ درسه إما حفظاً أو من كتاب ويعقبه بالشرح والتفسير والتوضيح لما فيه غموض أو التباس ، ويدون الطلبة ذلك كلّه أو بعضاً منه.

**! الكتّـاب العمومي**: اهتمّ الرسول ﷺ بأمر تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة حتى جـعلها شرطاً لمن أراد أنْ يفتدي نفسه من الأسر كما وقع مع أسرى بدر فضلاً عن ذلك، فقد جعل الآباء مسؤولين عن تعليم أبنائهم أمور دينهم مثلما ورد في قوله ﷺ : (( مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ )) . (أبو داود،١٣٧١هـ:ح٤١٨ ).

واستمر الأمر على هذا الحال في عصر الصحابةرضي الله عنهم حيث كانت مسؤولية تعليم الصبيان منوطة بالآباء رأساً وبناء على ذلك ، فإنّ النصائح التعليمية كانت توجه مباشرة للأباء بوصفهم معلمين ومربين لما رزقهم الله من البنين ، وأنهم هم المسؤولون عن ذلك كلّه.

وبمرور الزمن ، وكثرة الصـبيان وعجـز الآباء عن أداء مهمة التعليم الأولي لسـبب أو لآخر، رأى أولو النهى ضرورة الاهـتمام بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريـم، فتم تحديد موضع معيّن لذلك، واشتق له اسم من وظيفته الأساس فسمي بالكُـتّاب ويجمـع على كتاتيب، ولذلك فـ"الكتّاب موضع تعليم الكتّاب" ( ابن منظور، ١٩٩٠م : ٤٢٥/٢) ، يعني الكتابة لارتباطه في الغالب بتعـليم الصـبيان القراءة والكتابة ، ولكن مهمة الكُتّاب أضيف إليها تعليم القرآن الكريم ، ومبادئ الإسلام وتعاليمه الأساسية.

ونظراً لهذه المهمة التعليمية التي اضطلع بها الكتّاب ، فقد انتشر في البلدان الإسلاميّة شرقاً وغرباً.

وأما عن موضع الكتاب ومكانه ، فإنه غالباً ما يكون ملتصقاً بالمسجد أو قريباً منه ، بل أحياناً يكون في المسجد نفسه ، رغم وجود

نصوص من بعض الأئمة تنص على كراهيّة أو عدم جواز تعليم الصبيان في المساجد[1] ، وقد يكون موضعه أيضاً في مكان مستقل عن المسجد كالمنازل والحوانيت وأطراف الأسواق(شلبي ،١٩٧٨م : ص٥٤ ).

وبالأحرى فإنّ مكان الكُتّاب تبع لتواجد الصبيان وكثرتهم ، فكلما كان هناك تجمع صبياني في مكان ما غالباً ما يستدعي إنشاء كُتاب لتعليمهم وتربيتهم. ولكن مع انتشار الكتاتيب ووفرتها في مختلف الأمصار الإسلامية شرقاً وغرباً فإنّ فئة من الصبيان منعهم انتماؤهم لطبقة السادة من الالتحاق بهذه الكتاتيب المفتوحة لصبيان المسلمين عامة ولذا ، فقد قام الخلفاء والأمراء باتخاذ ما يشبه الكُتاب في قصورهم لتعليم أبنائهم ، ويمكن الاصطلاح عليه (بالكُتاب القصوري) نسبة إلى قصور الخلفاء ، أو قل إنْ شئت: الكتاب الخصوصي تمييزاً له عن الكُتاب العمومي الذي تقدم الحديث عنه.

- **الكُتَّاب القُصوري**: فإذا كان الكُتاب العمومي موضعاً لتعليم الصبيان، فيمكن تعريف الكتاب القصوري بأنه موضع لتعليم أبناء الخلفاء والأمراء وصبيانهم ، فهو كُتاب قصوري ، مقصور على فئة معيّنة من الصبيان، وسبب اتخاذ هذا النوع من الكُتاب حرص الخلفاء والأمراء على تعليم صبيانهم وتأديبهم وتربيتهم حتى لا يفوتون عليهم هذه المرحلة المهمة في التعليم.

وأما موضع هذا النوع من الكُتاب فهو القصر نفسه، حيث يخصص جناح منه لأداء هذه المهمّة بوصفه كُتاباً، وغالباً ما يكون المشرف على هذه المهمّة مقيماً في القصر حتى يصرف عنايته كلّها للتعليم والتأديب.

وفي الكُتاب القصوري يتم تعليم الصبيان القراءة والكتابة والقرآن الكريم والنحو والشعر وغيرها مما يصلح اللسان ويقوّم اللحن ، فضلاً عن التأديب الخلقي والتربية الشاملة للعقل والجسم معاً. وبناء على ذلك ، فإنّ

---

١ - المنقول عن الإمام مالك رحمه الله كراهيّة تعليم الصبيان في المسجد وبه قال الإمامسد حنون من المالكية ونص الفتوى كما ذكرها أبو الحسن القابسي: ( وأما تعليم الصبيان فيالمـ سجد،فـ إنّ ابن القاسم قال: سئل مالك عن الرجل يأتي بالصبيإلـ ىالمـ سجد،أتـ ستحبّذلـ ك؟قـ ال: إنْكـ انقـ د بلغ موضع الأدب، وعرف ذلك، ولايعبـ ثفـ يالمـ سجدفـ لا أرىبأسـ اً. وإنْكـ انصـ غيراً، لايقـ رّ فيه، فلا أحبّ ذلك. ولابن وهب عن مالك مثل معنى هذا. وأما سحنون فقال: سئل مالكعـ نتعلـ يم الصبيان فقال: لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصبالمـ سجدللتعلـ يم ) .( انظر: القابسي ، ١٩٨٦ م: ص ١٤٥)

القائم بوظيفة التعليم في الكُتاب القصوري أطلق عليه اسم المؤدب ، على خلاف النوع الأول من الكُتاب إذْ القائم بالوظيفة فيه يطلق عليه معلّم الصبيان.

وأما بالنسبة لمنهاج التعليم في الكُتاب القصوري فإنه يلتقي في الأسس العامة للتعليم بالكُتاب العام ، إلا أنه يختلف عنه في بعض الأمور مثل السنّ التي يقضيها الصبي في كلّ منهما ، فنجد أنّ السنين التي يقضيها المؤدب مع أبناء الملوك أطول من الأخرى ، فضلاً عن أنّ الخليفة أو الأمير هو الذي يضع بنفسه المنهاج التعليمي ليسير عليه المؤدب ، يضاف إلى ذلك ، أنّ القصور لم تكن موضعاً لتعليم الصبيان وحسب ، بل كانت أيضاً موضعاً لتعليم الكبار، إذ كانت المجالس العلميّة تعقد في بلاطات القصور.

- **البلاط** : كان الرسول ﷺ يجلس للناس في المسجد ، فيعلمهم ما أنزل إليه من الوحي ، ويرشدهم ، ويزكيهم ، وكان مجلسه مفتوحاً لمن شاء ورغب في التعلم منه ، وعلى هذه السيرة سار الأصحاب ﷺ ، فلم يتخذوا قصوراً تحجبهم عن الناس وتمنعهم من التعلم منهم. ( انظر : المسعودي،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م : ٢/ ٢٨-٣٠).

- **منازل العلماء** : على الرغم من وفرة المساجد وانتشارها وكثرة الكتاتيب وشيوعها، فإنّ قلة من العلماء اتخذوا منازلهم موضعاً لنشر العلم وتعليمه. وهذه القلّة سببها أنّ الله ﷻ جعل البيوت سكناً وموضعاً للاستراحة كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [سورةالنحل:الآية٨٠]،ولذلك لم يتخذ المسلمون البيوت مجلساً كالمسجد أو الكُتاب ، لأنّ حلقة الدرس وما تستدعيه من حضور مكثّف للطلبة وحركة وأنشطة تتعارض مع الوظيفة الأساسية للبيوت بوصفها موضعاً للسكن والقرار والهدوء وغيرها لكن الضرورة جعلت بعض العلماء ممن كان حريصاً على نشر العلم وتعليمه أنْ يجعلوا من بيوتهم موضعاً للتعليم.

غير أنه يبقى أن أفضل مواضع التدريس هو المسجد ، لأنّ الجلوس للتدريس إنما فائدته أنْ تظهر به سنة أو تخمد به بدعة ، أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى ، والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافراً، لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم ، وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له ، والبيوت تحترم وتهاب حتى لو أبيحت للجميع . ( شلبي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ص٨٧).

- **حوانيت الوراقين والعلماء** : من المواضع التي لا يمكن إغفالها

عند الحديث عن مواضع التعليم في التاريخ الإسلامي حوانيت الوراقين ودكاكين العلماء بوصفها موضعاً لنشر العلم وتعليمه. فقد كان لحوانيت الوراقين والعلماء أثر كبير في التعليم ، وتنشيط الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي، وسبب ذلك أنّ الوراقين كانوا يقومون بعملية مهمّة جداً في نشر العلم والتعليم وهي «الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين (ابن خلدون ، ١٩٨١م: ص ٣٩٢)[١].

ولا شكّ أنّ تصحيح الكتب وانتساخها تم تقديمها وعرضها للراغبين فيها مساهمة ذات أهمية كبيرة في نموّ مسيرة العلم والتعليم وتنميتها.

وزد على ذلك ، فإنّ الورّاقين أنفسهم كانوا من كبار العلماء في الغالب،ثم إنّ حوانيت الوراقين لم تكن مجرّد دكاكين لبيع الكتب كما هو حال معظم المكتبات التجارية اليوم، بل كانت موضعاً للتعليم أيضاً، حيث إنها كانت ملتقى مفتوحاً ومجلساً محبباً للعلماء.

ومما يدل على أهمية حوانيت الوراقين التعليمية أن بعض العلماء قد اتخذوها مبيتاً للقراءة والمطالعة فيها ليلاً، وذلك لما حوته من كتب ومصادر لا توجد في غيرها، ومن أشهر هؤلاء الأديب الضارب في كلّ فنّ بطرف عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف المختلفة والمشاركات المتنوعة، ولم يقف النشاط العلمي بالدكاكين على حوانيت الوراقين، بل انتقل منه إلى غيره من محال البيع والشراء.

## ٦,٣ أسلوب الرسول ﷺ في تعليم الصبيان

### ١,٦,٣ <u>نماذج رحمته للصبيان</u>

**أولاً : أرحم البشر بالعيال:**

يقول أنس بن مالك: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)).( مسلم،١٣٧٥هـ:ح٤٢٨٠) وقال بريدة _ قال : ((كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان

---

١ - وقد أفرد العلامة ابن خلدون الفصل (الحادي والثلاثون) من مقدمته للحديث عن صناعة الوراقة ، وما لها من أثر كبير في انتشار العلوم، وأنه كلما تبحر العمران واتسع نطاق الدولة احتيج لصناعة الوراقة.( انظر: ص٣٩٢ وما بعده )

ويعثران ( يتعثران في المشي ) فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [ سورة التغابن: الآية١٥]، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما )) . (الترمذي ،١٣٩٨هـ : ح ٤١٤٣)

وعن شدّاد بن أوس _ قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا ، قال شداد: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ ، قَالَ : ((كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ )) (النسائي،١٣٤٨هـ:ح١١٢٩)

وعن ثابت عَنْ أَنَس : أَخَذَ النَّبِيّ ﷺ إِبْرَاهِيم فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ.(ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٤٢٧/١٠) ، ويقول أنس :كان إبراهيم بن محمد ﷺ مسترضعًا له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظئره قينًا فيأخذه فيقبله ثم يرجع (مسلم،١٣٧٥هـ:ح٢٣١٦)، ويخفف عنهم ﷺ مراعاة لطاقتهم العقلية المحدودة ، ومن المواقف اللطيفة الحصيفة التي لا تقع إلا من مثل نبينا ﷺ ، وذلك أنَّه قُبَيل غزوة بدر أرسل النبي ﷺ استخباراته من أصحابه ليستكشفوا أخبار العدو ، فقبضوا على غلامين كانا يستقيان لجيش مكة ، فسألوهما : لمَن أنتما ؟ قالا : نحن سقاة قريش ، فظنّ الصحابة ﷺ أنهما يكذبان وأنهما لأبي سفيان ، فضربوهما ضرباً موجعاً حتى قالا : نحن لأبي سفيان فتركوهما [١] وكان ' يصلي حينها ، فلما فرغ من صلاته استنكر ما فعله أصحابه ، وقال لهم : (( إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا والله ، وإنَّهما لقريش )) ثمَّ بدأ ﷺ باستجوابهما على قدر ما يتحمل ويستوعب عقلهما رافعاً الروع والخوف عنهما ، وما لم يقدرا على الإجابة عليه سألهما سؤالاً غيره أسهل ، لكنه يوصل إلى المقصود الأول ، قال ' لهما : (( كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عِدَّتهم ؟ قالا : لا ندري [٢]، فقال ﷺ : (( كم ينحرون من الإبل كل

---

١ - أي كفوا عن ضربهما .

٢ - لأنهما يصعب غليهما تقدير العدد بالمئات إلى الآلاف فسألهما عن الآحاد والعشرات، فهي يسهل على الصبي عَدَّها وتقديرها .

يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشرة ، فقال النبي ﷺ : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف )) ( مسلم ، ١٣٧١هـ : ح ١٧٧٩)) [١]

**ثانيًا : توبيخه ﷺ للغلاظ مع الأطفال**

عن أبي هُرَيْرَةَ قالَ: أبْصَرَ الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ النبيّ ﷺ وهُوَ يُقَبّلُ الحَسَنَ فقالَ إنّ لي مِنَ الوَلَدِ عَشَرَةً ما قَبّلْتُ أحَداً مِنْهُمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ : (( إنّهُ مَن لاَ يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ )) (البخاري ،د.ت:ح٥٥٣٨) ، وهو نداء إلى غلاظ القلوب عامة، وإلى المسيئين للأطفال خاصة . ( ياقوت ، د.ت : ص ١٧ )

**ثالثًا : دعاؤه ﷺ للأطفال**

عن عائشة :(( أن رسول الله ﷺ كان يؤتى إليه بالصبيان "فيبرّك عليهم " أي يدعو لهم بالبركة ، ويحنكهم )) (مسلم،١٣٧٥هـ:٣/١٦٩١ح٢١٤٧) – أي يضع في أفواههم التمر اللين الذي مضغه في حنكه الشريف.

وعن ابن عباس قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ : ((إنَّ أبَاكُمَا [ إبراهيم عليه السلام ] كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إسْمَاعِيلَ وَإسْحَاقَ : أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ، وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ)) (البخاري ،د.ت:ح٣١٢٠).

وعن أسامة بن زيد عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ : ((اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا )) ( البخاري ، د.ت:ح٣٤٦٤).

وقال البراء : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ :" اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ " (البخاري ، د.ت:ح٣٤٦٦) [٢]

## ٢,٦,٣ سلامه ﷺ على الصبيان وعطفه عليهم

لقدكان الرسول محمد ﷺ يسلم على الأطفال في الطرقات ، ويمسح على رؤوسهم ووجوههم، فعن جَابِرِ بن سَمُرَةَ ، قَالَ: (( صَلَّيْتُ مَعَ

---

آ- انظر ، ياقوت ، ( د.ت ) : ص ١٦ .

٢ - انظر ، ياقوت ، ( د.ت ) : ص ١٧.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانُ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، قَالَ : وَأَمَّا أنا فَمَسَحَ خَدِّي فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وريحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ ﷺ )) (الطبراني ،د.ت: ح١٩١١)[١].

### ٣,٦,٣ رفقه ﷺ بالصبيان إذا صلى بهم

يقول كولن ( د.ت : ٣٣/٢) :" كانت صلاة رسول الله ﷺ طويلة، ولا سيما النوافل منها؛ إذ كانت تتجاوز طاقة الصحابة ، ولكنه عندما يقف للصلاة يريد إطالتها ويسمع بكاء طفل في أثنائها ؛ إذ به يخفف صلاته ويتَجوَّز فيها ؛ ذلك لأن النساء كن يقفن للصلاة خلف رسول الله ﷺ أي يشتركن في أداء صلاة الجماعة خلفه ، فخوفاً من أن تكون أم ذلك الطفل موجودة بين المصليات فإنه كان يخفف صلاته ، ويسرع بها لكي يريح قلب تلك الأم" .

يقول النبي ﷺ : (( إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهية ان أشق على أمه )) ( البخاري، د.ت:ح٦٦٦) .

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قال: ((مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ )) (البخاري، د.ت: ح٦٦٧).

عن أنس بن مالك_ قال : ((كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال : أبا عمير ما فعل النغير[٢]؟)) (البخاري، د.ت: ح٥٨٥٠)[٣]

وقد كان ﷺ يصلي فإذا سجد ؛ وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أراد الناس أن يمنعوهما ؛ أشار إليهم أن دعوهما .

قال أبو هريرة : كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فكان يصلي ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه أخذهما،بيده من خلفه أخذا رفيقًافوضعهما وضعًا رفيقًا ، فإذا عاد عادا فلما صلى وضعهما على فخذيه جعل واحدًا هاهنا وواحدًا هاهنا! قال أبو هريرة :

---

١ - والألباني، ١٩٨٣م : ح ٥٧٨٩. انظر ، ياقوت ، ( د.ت ) : ص ١٧.

٢ - النغير هو طائر صغير .

٣ - ومسلم ،١٣٧٥هـ : ح٢١٥٠.!!

فجئته فقلت: يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما ؟ قال : لا )) ( الألباني ،١٩٨٣م: ح٣٣٢٥) [١].

## ٤,٦,٣ رحمته بالأيتام

ولذلك نجد أن القرآن الكريم تحدث في شأن اليتيم في ثلاثة وعشرين موضعاً ، نظراً لأهمية تضافر المجتمع لرعاية اليتيم ، كما سنَّ النبي ﷺ ومن نماذج في رحمته ﷺ لليتيم .

**أولاً: ترغيبه في كفالة اليتيم :**

فعن سِهْلِ بنِ سَعْدٍ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : (( أنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الْجَنّةِ كَهَاتَيْنِ ، وأشَارَ بإصْبعَيْهِ يَعْنِي السّبّابَة وَالوُسْطَي )) ( البخاري، د.ت:ح ٥٥٤٦)

وهو يشمل يتامى المسلمين وغيرهم ، كما تدل عليه صيغة العموم، لأن "أل" في اليتيم للجنس.

**ثانيًا: مواساته لليتامى**

فمن أخباره ﷺ في هذا الجانب ، أنه عندما قُتِل جعفر أمهل آل جعفر ثلاثاً ، ثم أتاهم ، يقول عَبْد اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : فقال رسول الله ﷺ: (( لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال: ادعوا لي بني أخي. فجيء بنا كأنَّا أفرخ فقال: (( ادعوا لي الحلاق فأمره فحلق رؤُوسنا ثم لما رجع رَسُول اللَّهِ إلى أهله، قال لهم: إن آل جعفر قد شغلوا بشأن ميتهم ، فاصنعوا لهم طعاماً )) (أبو داود، ١٣٧١هـ:ح٤١٩٢)[٢]

**ثالثًا: تحذيره من الإعتداء على مال اليتيم**

قال النبي ﷺ داعيًا ربه : (( اللهمَّ إنِّي أحرِّج حقَّ الضعيفين اليتيم والمَرأة )) ( الألباني ،١٩٨٣م: ح ٤٤٦٣). ومعنى الحديث : أي ألحق الإثم بمن ضيَّع حقهما وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً ووعد أكل مال اليتيم من

---

١ - انظر ياقوت ، د.ت : ص ١٧-١٨.

٢ - وابن ماجه ، ١٩٥٣م : ح ١٦١١ والألباني ، ١٤١٢هـ : ح ٤٤٦٣ .

الموبقات، فقال النبي ﷺ : (( اجتَنبوا السَّبعَ الموبقَات " قيلَ يَا رسولَ الله ومَا هنَّ ؟ فذكرهن إلى أن قال : وأكلُ مالِ اليَتيم )) ( الشيخان)[1] .

فإذا بلغ اليتيم أشدَّه فيجب أن يسلم له جميع ماله ولا يجوز للوصي أن يبخس أو يأخذ منه شيئاً إلا بطيبة نفس من اليتيم بعد أن يبلغ أشده ويحصل رشده ، فكل تصرف في مال اليتيم لا يقع في دائرة ما هو أحسن فهو محظور ومنهيٌّ عنه ، فأكل ماله طمعاً فيه واستضعافاً له محرم ومنهي عنه ، وتجميد ماله وعدم استثماره محرم ومنهي عنه ، وإهماله وعدم صيانته محرم ومنهي عنه . ( انظر ياقوت، د.ت : ص ١٩-٢١)

## ٥,٦,٣ رحمته ﷺ بغلام يهودي

فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : ((أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ .فَقَالَ : لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ )) ( البخاري ،د.ت: ح١٢٦٨) .

وهكذا نرى أعلى درجات الرحمة في شخصية هذا النبي الكريم، الذي يطلب من غلام يعالج سكرات الموت ، أن ينطق بالشهادتين في لاحظاته الأخيره ، لتكونا برهاناً لرسول الله ﷺ يشفع به أمام الله لهذا الغلام يوم القيامة .

وهذا الشعور من رسول الله ﷺ يبين عمق عاطفته النبيلة الجياشة تجاه سائر البشر على اختلاف عقائدهم وديانـاتهم .

إنها الرغبة الشديدة الفياضة في هداية البشر ، رغم جهلهم المطبق برسالة محمد ﷺ، فهو يدعوهم إلى الجنة ، وهم يتفلتون منه ، كما في حديثه، الذي يمثّل فيه لرحمته بتصوير رائع بليغ ، فيقول ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ: كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي)) ( مسلم ،١٣٧٥هـ: ح٤٢٣٦) [2].

---

١ - البخاري،د.ت: ح ١٠١٥ ومسلم ، ١٣٧٥هـ : ح١٢٩.

١ - انظر ياقوت ، د.ت : ص ١٨-١٩.

## ٧,٣ تاريخ جهود المحافظة على القرآن الكريم

فالقرآن الكريم مصدر عزٍ وكرامةٍ للمسلمين وهو سرٌّ سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولذا فقد أولوه اهتمامهم في التعليم البالغ وعنايتهم الفائقة وأنزلوه المنزلة اللائقة به ولم يحظ أى كتاب غيره من الكتب بمثل ما حظي به القرآن الكريم من العناية الشديدة والاهتمام البالغ ، فقد وجه المسلمون كل جهودهم ، وبذلوا كل ما في وسعهم من أجل حفظ القرآن والحفاظ عليه كما أنزله الله تعالى على رسوله الأمين الذي عرف بامانته حتى قبل بعثته عليه أفضل الصلاة والسلام وشهد به عدوه قبل مُواليه ، إلى أن وصل إلينا القرآن سالما محفوظاً، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيبقي القرآن الكريم موضع اهتمام المسلمين وعنايتهم دائما وأبدا .

### ١,٧,٣ عناية الرسول ‘ بالقرآن الكريم

وتتجلى عناية المسلمين بالقرآن الكريم وجهودهم في المحافظة عليه في الخطوات التي اتبعوها تجاه القرآن الكريم بدءا برسول الله ﷺ نفسه ، ثم أصحابه ﷺ ، فمن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلي يومنا هذا، فالنبي ﷺ الذي هو أمين الأرض قد بلغ من عنايته بالقرآن وحرصه على حفظه وسلامته وشدة اهتمامه به أنه كان يتابع جبريل عليه السلام عند تلقي الوحي منه ، ويقرأ معه قبل أن ينتهي جبريل عليه السلام، وكان ﷺ يفعل ذلك كله حرصا منه على حفظ ما يأتي به جبريل من القرآن لئلا ينساه ويتفلت منه بسبب نسيانه ، فكان يعالج من نزول القرآن أشد المعالجة ، إلي أن طمأنه الله تعالى وضمن له بقاء القرآن محفوظا ، وتكفل بجمعه في صدره وبيانه ، وأنه لا ينسى منه شيئا إلا ما أراد نسيانه فلا شئ عليه في ذلك .

قال تعالى :﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَـٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [سورة القيامة:الآية ١٦- ١٩] ، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِـٱلْقُرْءانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً ﴾[سورةطه :الآية١١٤] ، وقال تعالى :﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰٓ إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [سورة الأعلى : الآية٦-٧].

هكذا كان حرصه ﷺ على القرآن واهتمامه به فجمع الله القرآن في صدر رسوله الكريم ﷺ وأراحه من العناء الذي كان يجده في نفسه من خوف نسيان القرآن وانفلات بعض أجزائه .

وكذلك كان جبريلعليه السلام يعارضه القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان، وفي السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ عارضه فيها مرتين، إيذانا بقرب أجله ﷺ، وتأكيدا لحفظ القرآن الكريم في صدره الشريف وبقاء ما لم ينسخ منه ،كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ، منها: ما رواه البخاري (د.ت ،٤٣/٩ح٤٩٩٧)[1] عن ابن عباس قال : ((كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة )) .

وروي البخاري (د.ت:٣٤/٩ح٤٩٩٨) من حديث أبي هريرة _ قال : ((كان يعرض علي النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف في كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه )).

وكذلك يدل على عناية النبي ﷺ بالقرآن اتخاذه كُتَّابًا ، كانوا يعرفون بـ كُتّاب الوحي وهم كثيرون ، منهم : الخلفاء الراشدون الأربعة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبي بن كعب ، وغيرهم رضي الله عنهم .

فكان ﷺ إذا نزلت عليه آية أو سورة من القرآن أمر من حضر من هؤلاء الكتاب بكتابتها مع إرشاده إياهم إلي موضع الآية من سورتها ، فكانوا يكتبون كل ذلك فيما يتيسر لديهم من أدوات الكتابة وقتذاك، كالرقاع، واللخاف ، والأكتاف ، والعسب ، وما أشبه ذلك من أدوات الكتابة التي كانت متيسرة عندهم في زمانهم ذلك.( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٢٢/٩)

ولم ينتقل النبي ‘ إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مجموع ، وإن كان متفرقا في الرقاع والعسب وغيرها ، وكما كان ﷺ يحرص على إقراء الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم وتحفيظهم إياه مع بيان معانيه لهم وأحكامه فكثر منهم حفاظ القرآن الكريم ، إما كله وإما أجزاء منه ، كل بحسب ما تيسر له منه ، فضمن الحفاظ على القرآن بالحفظ في الصدور وبالكتابة في السطور، وهذه خلاصة مختصرة من عناية النبي ﷺ بالقرآن الكريم .

## ٢,٧,٣ **عناية الصحابة è بالقرآن الكريم**

وأما عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم فهي استمرار لما بدأه رسول الله ﷺ، فإنه ﷺ مهد لهم الطريق ورباهم على ذلك ، ويتمثل ذلك في

---

١ – ومسلم ، ١٣٧٥هـ : ح٦١٤٩.

عدة أمور منها : حرصهم الشديد على تلقي القرآن مشافهة من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى واجتهادهم في حفظ ما يتلقون من رسول الله ﷺ من الآيات والعمل بأحكامها ، فتعلموا القرآن من رسول الله ﷺ لفظاً ومعنى وعملاً كما جاءت الأحاديث الكثيرة التي تحدثت عن حرص الصحابة ﷺ على حفظ القرآن الكريم .

يقول ابن الجزري (د.ت: ٦/١) : ولما خص الله تعالي بحفظه من شاء من آله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفا ، ولا دخل عليهم في شئ منه شك ولا وهم وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه ، كل ذلك في زمن النبي ﷺ .

وهكذا لا يوجد جزء من القرآن الكريم إلا وهو محفوظ في صدور الصحابةﷺ ، ولشدة حرصهم على القرآن الكريم فإنهم لم يكتفوا بحفظهم للقرآن في صدورهم فحسب ، بل أضافوا إلي ذلك الكتابة في السطور، حيث كان بعضهم يكتب القرآن في أدوات الكتابة المتيسرة لديه من الرقاع واللخاف والأكتاف وغيرها ، كل ذلك مبالغة في المحافظة على بقاء القرآن سالماً كاملاً كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ .

ويؤكد ذلك ما قاموا به من جمع القرآن الكريم في الصحف بعد أن كان في أشياء متفرقة ، لما خافوا عليه ضياع بعض أجزائه بسبب موت حفاظه في عهد أبي بكر الصديق ، حيث أشار إليه بذلك عمر بن الخطاب ، لما استحر القتل بقراء القرآن في معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب، كما هو واضح من حديث زيد بن ثابت _ في جمع القرآن علي عهد أبي بكر _ عند البخاري ’.

وكذلك ما قاموا به في عهد عثمان ، من جمع الناس على مصحف واحد لما خافوا الفتنة التي كادت أن تحدث بين المسلمين بسبب اختلافهم في وجوه القراءات ، كما ورد بذلك حديث حذيفة بن اليمان حيث قال لعثمان بن عفان : (( يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى)).( البخاري،دـ ت: ١١/٩)

كل هذا يؤكد لنا أنهم كانوا يسهرون على القرآن الكريم وعلى حمايته من أى شئ يكدر صفوه وينقص من قدره ، وذلك حتى يظل القرآن منيع الجانب مصون الحمى .

كما كانوا ﷺ حريصين على إقراء الناس القرآن الكريم من التابعين وغيرهم ممن لم يتمكنوا من تلقيه من رسول الله ﷺ ، فعقدوا مجالس كثيرة لتدريس القرآن ومدارسته كما تلقوه من رسول الله ﷺ فأخذ

عنهم التابعون الذين كانوا أيضا حريصين على التفقه في الدين وتعلم أحكامه ، وحريصين على قراءة القرآن وحفظه وفهم معانيه حتى تخرج علي أيديهم أئمة جهابذة في العلم بالقرآن لفظاً ومعني وعملا ، تولوا فيما بعد إقراء من جاء بعدهم القرآن الكريم ومدارسته .

هكذا أخذ المسلمون القرآن جيلا عن جيل مشافهة ولم يعتمدوا على المكتوب في المصاحف فقط ، وإنما كان الاعتماد في قراءة القرآن على تلقيه مشافهة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهكذا كانوا شديدي الحرص على قراءة القرآن وحفظه في صدورهم، فكثر حفاظ القرآن من المسلمين في كل جيل وفي كل بلد من مشارق الأرض ومغاربها ، لا توجد بقعة معمورة على وجه الأرض فيها مسلمون إلا وفيهم حفاظ القرآن الكريم ، إما كاملا وإما أجزاء منه .

هذا مما يتعلق بحفظ القرآن في الصدور الذي هو المعتمد عند المسلمين في المحافظة على القرآن الكريم .

وفي عصر التدوين وأما ما يتعلق بكتابة القرآن في السطور، فإن الذين جاءوا من بعد عصر الصحابة ﷺ الذين أخذوا القرآن عنهم، والذين اتبعوهم بإحسان إلي يوم الدين فإنهم أيضا لم يهملوا هذا الجانب المهم في المحافظة على سلامة القرآن الكريم ، ولم يغفلوه بل نشطوا في ذلك نشاطا فاق كل الوصف ، لا سيما فيما يعرف بعصر التدوين.

وقد أصبحت الكتابة ميسرة وفي متناول كل أحد يرغب في الكتابة لتوفر أدوات الكتابة وتنوعها ، فاتجهوا إلي القرآن الكريم بكل عناية ، فدونوا في جميع مجالاته مؤلفات كثيرة لم يشهد لها مثيل في تاريخ البشرية .

## ٣,٧,٣ التعليم النبوى للترغيب والحثّ على قراءة القرآن الكريم

لقد حثّ التعليم النبوي للصحابة ﷺ على قراءة القرآن إلى جانب ما ورد من الترغيب والحثُّ على قراءة القران وإقرائه وما في ذلك من الثواب العظيم ، والدرجة الرفيعة لحاملها كما وردت بذلك أحاديث كثيرة صحيحة عن النبي ‘ منها ما رواه البخاري ( د.ت : ٥٦/٩، ٦٦) من حديث أبي موسي الأشعري عن النبي ﷺ قال : (( مثل الذي يقرأ القران كالأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانه ريحها طيب

وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح له)).

وما روى البخاري( د.ت : ح٥٠٢٧ ) من حديث عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال: (( خيركم من تعلم القران وعلمه )) وما رواه أيضا في صحيحه (د.ت :ح ٥٠٢٥ ) من حديث عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( لا حسد على اثنتين رجل أتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار)) .

وروي الإمام مسلم في صحيحه (١٣٧٤هـ:ح٨٠٤)عن النبي ﷺ قال: (( اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأهله )) .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في فضل القران وأهله ،وبيان ثواب قراءته مما كان حافزاً كبيراً للمسلمين على أن يتسابقوا إلى قراءة القران وحفظه حتي يفوزوا بهذه الدرجات الرفيعة والثواب العظيم الذي أعدَّ لحامل القران الكريم .

استذكار القرآن وتعاهده كما جاءت أحاديث كثيرة جداً في الحضِّ على استذكار القران الكريم وتعاهده حتي لا يتعرض للنسيان ، فمن ذلك: ما رواه الشيخان[١] من حديث ابن عمر قال : (( إنما مثل صاحب القران كمثل صاحب الإبل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت )).

ورويا أيضا من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال : قال ﷺ : (( بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت، بل نسي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم ))( البخاري، د.ت :ح ٥٠٣٢ ) ، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الحثِّ على تعاهد القرآن الكريم واستذكاره .

قال الحافظ بن كثير بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في ذلك: "ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في إكثار تلاوة القرآن الكريم واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه" (ابن كثير،د.ت: ص ١٣٥)

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة ساعدت الصحابة ﷺ المحافظة على القران الكريم ، كالتعبد بقراءته ، والأمر بقراءته في جميع الصلوات فرضا كانت أو نفلا وكذلك ما تميز به عن سائر كلام الخلق من البلاغة والفصاحة في معانيه وألفاظه وفي أسلوبه وحلاوته التي لا ينقضي القارئ من إعجابه بها ولا يسأم من تكرارها كما يحصل لأي كلام آخر

---

١ - البخاري ، د.ت : ٥٠٣١ ومسلم ، ١٣٧٤هـ : ٧٨٩

وفوق ذلك كله، وعد الله تعالى بحفظ كتابه العزيز وتكفله بسلامته وضمان بقائه، وتيسير حفظه على الناس .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: الآية٩] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَد يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٣٢ ﴾[سورةالقمر:الآية٣٢ ]

## ٨,٣ أساليب النبي ﷺ في التعليم

عرفنا مما سبق أن الرسول ﷺ قد وضع للتعليم مجموعة من الأهداف ، واتضح لنا أنّه ' في سعيه لبلوغ هذه الأهداف ، إنما يريد أن يكون هناك تماسك لأفراد المجتمع الإسلامي، ويريد أيضاً تعليم الصحابة ﷺ، تعليماً إسلامياً شمولياً بكل المقاييس .

ولاشك أن بلوغ هذا الأهداف الذي وضعه الرسول ﷺ في عهده يستدعي بالضرورة أن يكون هناك مجموعة من الأساليب السليمة للاعتماد عليها في بلوغ غايات التعليم وأهدافه، ومن هنا ولما كان الأمر كذلك ، فإننا سنعرض الأساليب الذي وضعه الرسول ' للعملية التعليمية من خلال ما أسرده وزّان (١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٦٧-٨٠ ) وبيان ذلك على النحو التالي :

### ١,٨,٣ <u>التيسير والتخفيف على المتعلمين</u>

إنَّ من الأُسُس التي قام عليها التشريع الإسلامي مبدأ التيسير والتخفيف على الناس ، فالله ﷻ لم يشرع أمراً إلا يسّر على العاجزين بتشريع أخف منه ، بالصيام مفروض على الصحيح المقيم ، ومَن كان مريضاً فله أن يفطر ، وكذلك فريضة الصلاة نجدها مفروضة من قيام فمَن عجز عن القيام صلى جالساً ، والوضوء مشوع ومَن عجز عنه بأن لم يجد ماء أو كان مريضاً شرع له التيمم تخفيفاً وتيسيراً ، فكل هذه الأمثلة وغيرها كثير توضح وتؤكد لنا اهتمام التشريع الإسلامي بمبدأ التيسير والتخفيف ، وذلك لأن الله ﷻ لايريد إرهاق عباده بالتكليف الشاق ، فالمشقة ليست غرضاً من أغراض الشارع وإنما الغرض تحصيل المصالح ودفع المضار .

وبالنظر إلى منهج الرسول ﷺ في تعليمه لأصحابه ﷺ نجد أنه اعتمد كثيراً على هذا الأسلوب من أقوى العوامل تأثيراً في التعليم الناجح

وباعتباره ركيزة أساسية في بلوغ الأهداف التي ينشده الرسول ﷺ ، ومما يؤكد هذا الأمر حرص الرسول ﷺ في شتى المناسبات والمواقف على إيجاد الطرق والوسائل الترغيبية ، وعلى إيجاد كل العوامل التي تيسر على الصحابة فهم شريعتهم .

ليس هذا فحسب بل إن الرسول ﷺ كان يحث الصحابة ﷺ دائماً على التيسير والتخفيف على المتعلمين ، ولنا في هذا الصدد أدلة وشواهد كثيرة تؤكد حرص الرسول ﷺ بهذه المسألة ، فمن ذلك ما روته عائشة ~ قالت : (( ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً )) ( ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٥٥٦/٦) ومن ذلك أيضاً حديث أبي هريرة _ قال : (( قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ : دعوه وهَريْقُو على بوله سِجْلاً من ماءٍ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)) ابن حجر، ١٣٧٨هـ: ٣٢٣/١)

ومما يؤكّد حرص الرسول ﷺ بمسألة التخفيف والتيسر في تعليم أصحابه ﷺ ما رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ قال : (( إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلاّ غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا))( ابن حجر، ١٣٧٨هـ: ٩٣/١)، وعن أنس بن ملك عن النبي ﷺ قال: ((يسروا ولاتعسروا زبشروا ولاتنفروا ))( ابن حجر، ١٣٧٨هـ: ١٦٣/١)

وهذه مما يتضح لنا مدى اهتمام الرسول ﷺ بمسألة التخفيف في تعليم الصحابة ﷺ، وقد ظهر ذلك من الأحاديث النبوية ، والرسول ﷺ يبين لنا أسلوباً تعليمياً أساسياً وهو أن يعمل كل مَن ينتمي إلى مهنة التعليم على أساس التيسير والتخفيف لتمكين المتعلمين من حقائق دينهم .( وزّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٦٧-٧٠ )

## ٢,٨,٣ تحقيق المصلحة للمتعلمين

إن من الأساليب التي راعتها الرسول ﷺ في عملية التعليم وتعليم الصحابة ﷺ، مسألة تحقيق المصلحة للناس جميعاً تلك المصلحة التي يقصد بها " المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل مايفوت هذه الأصول فهو مفسدة ، دفعها مصلحة وهذه الأصول حفظها واقع في مرتبة الضرورة ، فهي أقوى المراتب في المصالح " ( الغزالي: ١٣٢٢هـ:ص١٦١)

وإن المتتبع لأساليب الرسول ﷺ في التعليم يجد أن أساس الأوامر

والنواهي فيها هو جلب المصلحة ودفع المضرة ، " حكى انه يروي أن أعرابياً آمَن فقيل له : لماذا آمنت بمحمد ؟ فقال : ما رأيت محمداً يقول في أمرٍ افعل، والعقل يقول لاتفعل ، وما رأيت محمداً يقول في أمرٍ لاتفعل والعقل يقول افعل " ( أبو زهرة ،١٩٨٠م: ص١٦١)

فقول الأعرابي يدلُّ دلالة واضحة على التزام منهج الرسول ﷺ بمسألة تحقيق المصلحة ، ونحن إذا مارجعنا إلى سنة الرسول ‘ في أقواله وأفعاله وتقريره ، وفكرنا فيها لوجدنا أن الغاية من هذه الأقوال والأفعال وذلك التقرير هو توفير المصلحة للناس، فتوضيح وبيان العبادات على اختلاف أنواعها في سنة الرسول ﷺ الغرض منها التهذيب الروحي وانشاء رابطة قوية بين الإنسان وربه ، إلى جانب ما فيها من روابط اجتماعية وتنمية الصلات الإنسانية بيين الناس ، وإن حرص الرسول ﷺ في توضيح ما شرع الله تعالى من معاملات للناس ، فإن الغرض من ذلك تحقيق التبادل بين الناس وتحقيق المنافع بينهم.

وعهد الرسول ﷺ حينما يقيم تعليمه على هذا الأساس فإنه بذلك يعمل على " تمكين كل ذي قوة من أن يعمل بمقدار طاقته ، بحيث تهيأ الفرص المناسبة ، لكي تظهر كل القوى ، وتوضع كل قوة في مرتبتها " ( أبو زهرة ، ١٣٨٦هـ: ص٣٩٧)

وأسلوب التعليم النبوي يهتم بهذا الأساس لادراكه التام لقوله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ﴾ [ سورة المائدة : الآية ٢] وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [ سورة الحجرات : الآية ١٠] فالتعاون والأخوة أمران مترابطان وعماد كل ذلك المصالح المشتركة لاتشوبها شائبة الإستعلاء أو المَن.

وإننا نجد مصداقية هذا الأساس في أسلوب التعليم النبوي من خلال أوامره ونواهيه عليه السلام، ومن خلال ترغيبه للناس في كل أمر دعا إليه الإسلام ، فمن ذلك قوله ﷺ : (( خمروا الآنية واوكئوا الأسقية واجيفوا الأبواب واطفئوا المصابيح فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت )) ( الترمذي،١٣٩٨هـ: ١٣١/٥)، فمن ذلك قوله ﷺ :(( للمسلم على المسلم ست بالمعروف ، يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرضوا يُتبَع جنازته إذا مات ويحب له ما يحب لنفسه )) (الترمذي،١٣٩٨هـ: ٧٥/٥) [1]

---

١ - انظر وزّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٧٠-٧٢

## ٣,٨,٣ العدل بين المتعلمين

إنَّ مِنَ الأُسُس التي ارتكز عليها التعليم في العهد النبوي ، ذلك الأسلوب الذي يدعوا إلى العدل والمساواة بين المتعلمين ، والرسول ﷺ اهتمَّ بهذا الأمر تمشياً مع توجيهات القرآن الكريم ، والتي هابت بضرورة العدل والمساواة بين الناس فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [ سورة النساء : الآية ٥٨]

والرسول ﷺ حينما يجعل العدل أساساً للعمل التعليمي إنما ذلك ليقينه " إن سلب الحقوق الطبيعية لأي مخلوق إنما هو ظلم صريح" ( الرافعي، ١٩٨١م: ص٣٧) ،وليقينه ﷺ بأن عدم العدل " في تفسيم الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه يسبب البغضاء والتفكك في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية " ( سيد بكر ، ١٩٨٣م: ص١٥٤)

ومن هنا نجده ' يثبت قواعد العدل ويبين في أفعاله انتساب الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب،والناس سواسية ولافضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى .

والعدل في التعليم النبوي مساواة إنسانية شاملة ،وقد تسامى مفهومه حتى شمل المساواة في جميع الجوانب الحياة الإنسانية ،ذلك لأن الناس يتساوون في الأخذ عن الله والخضوع لما شرعه الله ، ومعنى هذا أن العدالة والمساواة مطلقة في تطبيق الشريعة الإسلامية لافرق في هذا بين الحكام والمحكومين .

وإنَّ مَن يتأمل في التعليم النبوي يجد مظاهر شتى يؤكد قيام التعليم على العدل والمساواة ، ولعلنا نتلمس مظاهر العدل في التعليم النبوي لوجدنا الكثير من الأمثلة التي تدل على ذلك ، ويؤكد هذا ما جاء عن ابن عباس : (( أنَّ رسول الله ' خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع ، فوعظهنّ وأمرهن بالصدقة ، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه)) ( ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م : ١٩٢/١)، ولما كان المتعلمين يختلفون في قدراتهم واستجاباتهم للتعلم فإننا نجد الرسول ' قد عدل بين هذه المستويات في تعليمه ، ولهذا نجده ' كان حينما يتحدث يكرر الحديث ثلاثاً ليفهم جميع المتعلمين ما يقوله ﷺ، ويؤكد هذا ما جاء في سنن أبي داود (١٣٧١هـ:٣٢٠/٣) (( أن النبي ﷺ كان إذا حدّث حديثاً أعاده ثلاث مرات )).

ومن مظاهر عدله ‘ في تعليم الصحابة ﷺ وتعليمهم ما جاء عن النعمان قال: (( اعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحه: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فقال: اعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال : لا قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم قال: فرد عطيته )) ( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م : ٢١١/٥) ، فهذا الحديث يدل أنَّ الرسول ﷺ درَّب أصحابه ﷺ على العدل ، وقد كان الصحابة ﷺ يقتدون به ويفعلون ما يفعل . ( انظر: وزَّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٧٣-٧٥ )

## ٤,٨,٣ التدرج مع المتعلمين في دراسة حقائق التشريع الإسلام

يعتبر التدرج سمة أساسية من سمات التعليم في التعليم النبوي ، باعتباره عاملاً هاماً من عوامل تعليم الصحابة ﷺ، ويهتمّ هذا العهد بهذا الأساس لإيمانه بأن عملية التدرج هي إحدى العوامل التي تساعد على حسن التقبل للحقائق والمفاهيم الشرعية ، وفوق هذا كله ، فإن التعليم النبوي يهتم بالتدرج؛ لأنه منهج القرآن الكريم ،إذ من المعروف أن القرآن الكريم سلك هذا المسلك ليسهل على الصحابة ﷺ أمور دينهم ، وليسهل عليهم معرفة الكثير من الأمور في وعي وإدراك تام ، وفي هذا نجد قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ" وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [ سورة الفرقان : الآية ٣٢]

وجدير بالذكر أن التعليم النبوي حينما يهتم بمسألة التدرج في التعليم ، فإنه يسعى لأن يجعل كل القضايا والأحكام أخف على النفس مما لو قدمت دفعة واحدة ، وبالتالي تكون أدعى للقبول والامتثال ، وفضلاً عن هذا فهو يسعى بمقتضى هذا التدرج للتيسير على المخاطبين لمعرفة الأحكام والتشريعات بغية حفظها والإحاطة بها .

وإن المتتبع لمنهج التعليم النبوي يجد أنه سار في عملية التدرج في التعليم بمقتضى ما جاء في القرآن الكريم من توجيهات عظيمة توضح كيفية التدرج بالمتعلمين ، ليدركوا حقيقة دينهم إدراكاً قوياً واعياً ، ومن هنا نجد الرسول ﷺ تدرج بالمتعلمين في مراحل ثلاث هي كما نص عليها القرآن الكريم مرحلة علم اليقين ، ومرحلة عين اليقين، ثم مرحلة حق اليقين ، وبيان ذلك على النحو التالي :

**أ - مرحلة علم اليقين**

تعتبر مرحلة علم اليقين أول مرحلة من مراحل التدرج في التعليم ، ويشير إلى هذا قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [ سورة التكاثر : الآية ٥]، ففي هذه المرحلة يتم إعطاء الفرد معرفة تامة عن حقيقة ما، أو قضية ما من حقائق وقضايا الشرع الإسلامي بإيضاح شامل متكامل من كل الجوانب ، ثم تدعيم هذه المعرفة بالأدلة والشواهد ليتمكن المتعلم منها بصورة جيدة ، حتى اذا استوعبها استيعاباً جيداً ثمَّ التدرج به بعد ذلك إلى المرحلة التي تليها وهي وعي هذه المعرفة للإفصاح عنها وتتبعها .

وهذه المرحلة تمثل أهمية كبرى في تعليم الأفراد ، وتتضح أهميتها إذا ما تأكد لدينا التعبير الذي يقول إن فاقد الشيئ لايعطيه ، فالإنسان مثلاً إذا كان يجهل مفهوم الصلاة ، وشروطها وواجباتها، فإنه بالتالي لايستطيع أداءَها والقيام بها، وإنَّ استطاع القيام بها نتيجة لمحاكاة الآخرين فمن الطبيعي أن هذه الصلاة تكون ناقصة .

فمن هذا المنطلق تأتي أهمية علم اليقين كإرهاص لأداء وتنفيذ حقيقة من حقائق التشريع الإسلامي .

ولعلنا نستطيع أن نتبين اهتمام التعليم النبوي بهذه المرحلة من خلال كل المواقف التي نجدها في سنة الرسول ‘ في العبادات والمعاملات فقد كان ﷺ يمهد لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بإعطاء المعرفة أولاً في خطبه، وفي حلقات العلم التي يعقدها وفي كل موقف من مواقف التعلم، وفي هذه نجد ابن مسعود _ يقول: (( تعلموا فإذا علمتم فاعملوا ))( الدارمي،١٤١٢هـ ١٩٩١م : ١٠٣/١)، ومن ذلك قوله ﷺ : (( تعلموا القرآن والفرائض وعلموا الناس فإني مقبوض)) (الترمذي ،١٣٩٨هـ: ٣٦١/٤)

**ب- مرحلة عين اليقين**

يشير إلى هذه المرحلة من مراحل التعليم قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [سورة التكاثر: الآية ٧] ، فهذه المرحلة توضح لنا مدى التدرج البديع الذي ينقل المتعلم من طور المعرفة إلى طور المشاهدة والملاحظة الدقيقة للحقائق والمفاهيم التي اشتملت عليها المعرفة ، وهذا يعني أن هذه المرحلة تتداخل وتتناغم مع المرحلة السابقة في انسجام ، لتؤدي في نهاية الأمر إلى تأكيد المعاني وتأصيلها في نفس المتعلم .

ولقد اهتمّ التعليم النبوي بهذه المرحلة اهتماماً كبيراً للمكانة التي تحظى بها في عملية التعليم ، وللدور الذي تؤديه في تعليم المتعلمين ،

ولعلنا نستطيع أن نعرف مدى اهتمام التعليم النبوي بهذا الأمر فيما رواه البخاري ( ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٤٩/١): (( أن النبي ﷺ صلّى مرةً بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم وليتعلموها من أفعاله ومشاهدته فلما فرغ أقبل على الناس فقال: ياأيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي )) .

وحسبنا هنا أن نشير أن الرسول ﷺ لم يكن يقوم بإمامة الناس على المنبر إلا بعد أن وضح لهم أموراً كثيرة بأنها فريضة الله على كل مؤمن، وفي هذا قد أعطى أصحابه ﷺ معرفة تامة عن فرضية الصلاة فيقول : (( بني الإسلام على خمس شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان )) ( مرجع سابق، ٤٨٦/١) ، ونجده أيضاً يقول :(( رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله )) ( الترمذي، ١٣٩٨هـ: ١٣/٥) .

**ج - مرحلة حق اليقين**

يشير إلى هذه المرحلة قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [سورة الواقعة:الآية ٩٥]، ومن هذه المرحلة تتمثّل قمة مخروط التعليم ، لكونها تجعل المتعلم يتعامل مع الحقائق والمفاهيم والقضايا الشرعية التي تعلمها في المرحلة الأولى والثانية تعاملاً عملياً اجرائياً ، وهذه المرحلة لاتنفك عن المراحل السابقة بل تتضامن معها لتصل بالمتعلم إلى الهدف المنشود وهو الإدراك التام الواعي لدينه .

ولقد اهتمّ التعليم النبوي بهذه المرحلة اهتماماً عظيماً، ويدلل على ذلك سلوك الصحابة ﷺ في قدرتهم الفائقة في أداء الواجبات التي كان يوجههم إليها رسول الله ﷺ ، حتى إن الواحد منهم لشدة تمكنه من هذه المرحلة كان يؤدي الواجبات بنفس الصورة التي كان يؤديها الرسول ﷺ، ويؤكد ذلك حديث مطرف بن عبد الله قال : (( صليت خلف علي بن أبي طالب أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبّر وإذا رفع رأسه كبّر وإذا نهض من الركعتين كبّر فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين فقال : قد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ - أوقال - لقد صلى بنا صلاة محمد ‘)) ( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٢٧١/٢)

ونستطيع القول أن أسلوب التعليم النبوي أقام تدريبه على مجموعة من الأسس الفعالة الذي إذا أخذ به المعلم في الوقت الحاضر لاستطاع أن يجعل التعليم تعليماً لامثيل له ، ومن هنا نستطيع القول أن على

كل مَن ينتمي إلى مهنة التعليم أن يلتزم بهذه الأساليب ، فقد ثبت جدواها وقدرتها على دفع عجلة التعليم إلى الأمام . (انظر: وزّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٧٥-٨٠ )

## ٩,٣ المراكز والوسائل التعليمية

### ١,٩,٣ مراكز الحركة التعليمية في العهد النبوي

كانت المدينة المنورة أهم مراكز الحركة الفكرية في العهد النبوي فهي دار السنة ، ومجتمع الصحابة ﷺ ، ومنها انتشر العلم إلى بقية المدن والأمصار، بخروج عدد كبير من الصحابة ﷺ منها بعد وفاة النبي ﷺ حيث استقروا في البلاد المفتوحة ، ونشروا العلم والرواية فيها.

إن إلقاء نظرة على ما خصصه كل من خليفة بن خياط ( ت ٢٤٠ هـ ) في طبقاته ومحمد بن سعد ( ت ٢٣٠ هـ ) في طبقاته لتراجم علماء المدينة، ومقارنة ذلك بما خصصاه لبقية المدن، يكفي للدلالة على تفوق المدينة في العلم على ما سواها من المدن في ذلك العصر.

أما بقية مدن الحجاز فقد كان دورها في العلم ضئيلاً إذا ما قيست بالمدينة، وتبرز من بينها مكة بسبب مركزها الديني، واجتماع العلماء فيها في مواسم الحج.

أما الأمصار الجديدة فتبرز الحركة العلمية في كل من: الكوفة، والبصرة، ودمشق، والفسطاط، حيث استقر فيها عدد كبير من الصحابة، إذ برزت في الكوفة مدرسة عبد الله بن مسعود _في الفقه، وفي البصرة مدرسة أبي موسى الأشعري في القراءات.

وتأتي دمشق بعد الكوفة والبصرة في الأهمية ، ثم ياتي دور القسطاط بمصر، أما المشرق فلم تبرز أهميته العلمية في هذه المرحلة المبكرة، رغم أن نواة التعليم الإسلامي بذرت في قلوب أبنائه منذ ذلك الوقت. فقد ذكر أبو نعيم (١٩٨٥م:٧٥/١) " أنه كان رجل بأصبهان من بني سليم من أصحاب النبي ﷺ ، وكان في جملة الدهاقين يعلم أهلها الفرائض والسنن" .

## ٢,٩,٣ الوسائل التعليمية في التعليم النبوي

تعتمد العملية التعليمية بوجه عام على مجموعة من العناصر ذات علاقة عضوية متماسكة وتفاعلات مستمرة لايمكن فصلها عن بعضها البعض ، نظراً لما يوجد بينها من تكامل مستمر في أثناء العملية التعليمية .

ويمكن القول أن الوسائل التعليمية تمثل أحد هذه العناصر وتعد ركناً أساسياً في العملية التعليمية ، وهي " القناة أو القنوات التي تمر خلالها الرسالة بين المرسل والمستقبل ، فهي باختصار عبارة عن قنوات للاتصال ونقل المعرفة" ( الطوبجي، ١٩٨١م: ص٣١)، بل أنها " ضرورة لكل مؤسسة تعليمية ولكل مدرس صار التعرف عليها وعلى أسس اختيارها واستخدامها وتقويمها أمراً لازماً لكل مسؤول في التعليم بمختلف مراحله " ( مطاوع ، ١٩٨١م:ص١٥-١٦) [١]

ولما كان الأمر كذلك لهذا فإننا سنعرض الأمور التالية عن الوسائل التعليمية التي استعرضها وزّان (انظر ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ١٩٧-٢١٤ ) في العهد النبوي استعراضاً مبدعاً يليق بذكره هنا :

### أولاً : مفهوم الوسائل التعليمية في التعليم النبوي

إن المتتبع لما كتب عن مفهوم الوسائل التعليمية يلاحظ مجموعة كبيرة من التعريفات قد تتباين في شكلها الظاهر ، إلا أنها لا تكاد تختلف كثيراً في المضمون ، أو بعبارة أخرى يمكن القول أن هذه التعريفات غالباً ما تؤدي إلى تكامل لمعنى السائل التعليمية ، خاصة إذا لاحظنا أن كل تعريف قد ينظر إلى الوسيلة التعليمية من زاوية معينة حسبما تقتضيه طبيعة البحث ، وقد يظهر هذه جلياً من خلال هذه التعريفات .

فهناك من يعرّف الوسائل التعليمية بأنها " الوسائل والأدوات التعليمية التي يستخدمها المعلم أو الدارس لنقل المحتوى سواء داخل الفصل أو خارجه بهدف تحسين العملية التعليمية ، والتي لاتعتمد أساساً على الألفاظ واللغة" ( اللقاني، ١٩٨٣م: ص٩٤)

كما تعرف الوسائل التعليمية بأنها " المواد التي تستخدم في حجرات الدراسة أو في غيرها من المواقف التعليمية لتسهيل فهم معاني الكلمات المكتوبة والمنطوقة" ( كاظم ، ١٩٧٩م: ص٢٧)

---

١ - انظر : وزّان ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ص ١٩٥.

وهناك مَن ينظر إلى الوسائل التعليمية على أنها " كل أداة يستخدمها المدرس لتحسين عملية التعلم والتعليم وتوضيح معاني كلمات المدرس ، أي لتوضيح المعاني أو شرح الأفكار أو تدريب التلاميذ على المهارات أوتعويدهم على العادات أو تنمية الإتجاهات أوغرس القيم فيهم دون أن يعتمد المدرس على الألفاظ والرموز والأرقام " ( مطاوع، ١٩٨١: ص٢٧)

وبالنظر إلى التعريفات سالفة الذكر ، فإننا نجد أنها وإن بدت متباينة إلا أنه في الحقيقة يمكن تصنيفها إلى مجموعتين ، إحداهما عرفت الوسائل التعليمية في شكلها الكامن وهي : " كونها مادة أو أداة لتوضيح المعاني أو شرح الأفكار أو تدريب التلاميذ على المهارات "، أما الأخرى عرفتها في شكلها الظاهر وهي كونها : الأداة التي يمكن أن تساعد المتعلم للابتعاد عن اللفظية والرمزية .

من هذا المدخل الذي عرفنا من خلاله المقصود بالوسائل التعليمية بشكل عام في الإصطلاح الحديث ، نستطيع أن نتتبع معنى الوسائل التعليمية كما نراه في عهد النبوة وهنا يمكن القول أن في العهد النبوي ينظر إلى العلم نظرة شمول وعموم وينظر إليه على أنه أمر " لازم للمسلم من حيث هو مسلم ، وعلم الدنيا لازم له من حيث هو انسان يعيش في مجتمع له متطلباته " (مطاوع،١٩٧٧م:ص١٦)، وهو أيضاً ينظر إلى الحواس على أنها وسيلة أساسية لنيل العلم والتمكن منه ، ولهذا كله نجدها يسعى إلى تنمية حواس الإنسان وتهتم بها غاية الإهتمام ، وذلك تمشياً مع قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [ سورة الإسراء : الآية ٣٦] .

وفي ضوء هذا الاهتمام بحواس الانسان باعتبارها مصدراً من مصادر التعلم نجد العهد النبوي ، حينما تعرف الوسائل التعليمية يضع في الاعتبار معنى الحواس وكل نشاط يؤدي إلى السمو بها ، وهذا التصور يرجع في المقام الأول إلى ادراك هذا العهد بأن التعليم إنما يسعى لينتفع الانسان بما يتعلم ، ولادراكها بأن التعليم يعمل على أن يكون الانسان قادراً على استخدام كل قدراته واستعداداته لتنمو شخصيته وتصبح قادرة على عبادة الله على وجه صحيح ، وفي ظل هذا التصور نجد أن الوسائل في هذا العهد إنما يعني تلك الأنشطة الإجرائية العملية التي يمكن استخدامها لتحويل المعاني المجردة إلى احساسات يشعر بها المتعلم أثناء معالجة الحقائق والمفاهيم والمبادئ الشرعية بما يساعد على بقاء أثر التعلم عند المتعلم من

جهة وبما يساعد على نموه السليم من جهة أخرى . (انظر: وزَّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ١٩٨-٢٠١)

## ثانياً : أهمية الوسائل التعليمية

من المؤكد أن الأهداف التي نعمل على بلوغها من وراء تعليم أية مادة دراسية يحتاج دائماً إلى الوسائل التعليمية ، لتوضيح مضامين هذه المادة ، وما اشتملت عليه من حقائق ومفاهيم وتعميمات ، وفي هذه الإطار أصبح تفكير المعلم في استخدام الوسائل التعليمية وانتاجها في التعليم ضرورة تفرضها طبيعة المهنة وهي مسؤولة تقابل مستويات مختلفة متباينة من الاستعدادات والقدرات والمهارات تتطلبها عملية استخدام الوسائل التعليمية .

فالوسائل التعليمية تمثل مركزاً مرموقاً في العملية التعليمية لما تؤديه من خدمات كثيرة ومفيدة تتأثر بها شخصيَّة المتعلم في المقام الأول ، لكونها تتعامل مع احساساته تلك التي تعتبر " المنافذ الطبيعية التي يتلقى منها العلم والثقافة ، والمعرفة تبدأ من الحواس وتتعلق بها ، وكلما تعاون عدد من الحواس في فهم أمر ما كانت عملية التعلم أقوى أثراً وأوسع شمولاً وأبقى تذكراً " ( الهاشمي، ١٩٦٥م:ص٥٠)

إذ قد اتضح لنا أن القرآن الكريم قد صرح بأهمية الادراك الحسي للأشياء والمعاني ومدى تأثيرها على الفهم والتعلم ، ويؤكد هذا قوله :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[ سورة الجمعة : الآية٥] ، ويقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية " إن الله تعالى ذمَّ اليهود الذين اعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كيساً لايدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسياً لايدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي اوتوه ، حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه " ( ابن كثير ، د.ت: ٢٦٤/٤)

وتتضح أهمية الوسائل التعليمية أيضاً من خلال قدرتها على خلق الاهتمام والاثارة والانتباه عند المتعلمين نحو الحقائق والمفاهيم ، وذلك لما تضفيه على عملية التعليم والتعلم من حيوية ونشاط وايجابية ، فالوسائل التعليمية " تعمل على إثارة اهتمام التلاميذ ونشاطهم نحو الدرس كما تزيد من فاعليتهم وايجابيتهم فيه ، وتشبع رغبة التلاميذ في التعرف على الأشياء

بأنفسهم وكذلك اشباع ما بينهم من فروق فردية"( سليمان ،١٩٧٧م : ص١٠٤)

وتزداد الوسائل التعليمية أهمية حينما نعلم أنها تساعد المتعلم على فهم ما يصعب شرحه أو فهمه من الأمور والمعاني المجردة " لذا فإن الوسائل التعليمية يمكن أن تترجم هذه الأمور المجردة في مواقف عملية يشعر فيها المتعلم بما تعنيه وما ترمي إليه وما ينطوي تحتها من حقائق " ( اللقاني،١٩٨٣م:ص٩٦)

ومما يؤكد أهمية الوسائل التعليمية في ميدان التعليم قدرتها الفعالة في بناء وتنظيم الخبرات التي تساعد المتعلم على أداء رسالته في الحياة " فعن طريق الخبرة المباشرة الهادفة التي من خلالها ينشط الفرد ويتجاوب مع ما حوله فيؤثر فيه ويتأثر به ، وتنم الفاعلية من خلالها وضع المتعلم في ميدان الحياة نفسها يعرك مشكلاتها ويفكر في حلولها فيحصل على خبراته " ( مطاوع ، ١٩٨١م:ص١٧)

وتزداد الوسائل التعليمية أهمية ومكانة حينما نعلم أنها حظيت باهتمام كبير في العهد النبوي ، فبالنظر إلى سنة الرسول ﷺ نجد أنها أكدت على الادراك الحسي وأهميته ، ويدل على ذلك حرصه ﷺ على استخدام الوسائل التعليمية الوسائل التعليمية " ليقينه بأن المحسوسات أكثر فعالية في تعليم الصحابة ﷺ ودفعهم إلى الفهم " (وزان ،١٩٨٨م: ص١٧) ولهذا نجده ﷺ قد استخدم الوسائل التعليمية في أكثر من موقف من مواقف تعليم الصحابة ﷺ ، وسيتضح هذا بصورة جلية حينما نعرض لأنواع الوسائل التعليمية التي استخدمته العهد النبوي. ( انظر: وزَّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٢٠١-٢٠٣ )

## ثالثاً : أنواع الوسائل التعليمية المستخدمة في التعليم النبوي

المتتبع لأبعاد واتجاهات الوسائل التعليمية في التعليم النبوي يجده أخذ أنواعاً وأنماطاً كثيرة ، تبعاً للمواقف التعليمية وتنوعها ، فالسنة النبوية لم تقف عند حد نوع واحد من الوسائل التعليمية ، بل أنها نوعت لادراكها بالفروق الفردية بين الصحابة ﷺ ، وادراكها الفذ بأن لكل مقام مقال ، ومن هنا نجده تارة يستخدم الأمثال كأحد الوسائل التعليمية ، وتارة يستخدم القصة ، وتارة يستخدم الرسوم الإيضاحية ، وتارة يتخذ من العينات والنماذج وسيلة تعليمية.

فالرسول ﷺ في تنويعه للوسائل التعليمية إنما يَهدف إلى تأكيد مبدأ تعليمي رفيع هو مراعاة خصائص المتعلمين من جهة ، وتدعيم مواقف التعليم بالوسائل التعليمية ، وتوجيه المعلمين إلى ضرورة استخدامها وتنويعها من جهة ثانية.

ومن خلال هذه التعبيرات والمعاني التي تدل على أنَّ التعليم النبوي استخدم الوسائل التعليمية ونوّعت فيه ، نجد أن الأمر يفرض بأن نعرض هذه الأنواع بشكل مفصل وبيان ذلك على النحو التالي : ( وزّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ص ٢٠٤)

١ - **الأمثال** : تعتبر الأمثال ضرباً من ضروب الوسائل التعليمية الهامة التي لها تأثير فعال وايجابي على تعلم الفرد ونموه التعليمي ، فمن المسلم به أن هناك الكثير من المعاني والأشياء في الحياة تظهر وقد غلب عليها التجريد وصعوبة الفهم ، أواستحالة ادراك ما تشتمل عليه من مضامين نظراً لغموضها وتجردها ، وهنا تأتي الأمثال كوسيلة تعليمية لازالة هذا التجريد والغموض في أسلوب سهل سلس لكونها تعمل على تقريب معقول من محسوس أو محسوس من أكثر حساً ووضوحاً .

وإنّ مَن يتتبع التعليم النبوي يجد أنه أولت هذه الوسيلة التعليمية اهتماماً كبيراً وفائقاً، ويرجع هذا الاهتمام إلى أمرين على قدر كبير من الأهمية.

أولهما : حرصه في تنفيذ مناهج القرآن الكريم ، إذمن المعلوم أن القرآن الكريم حافل بالأمثال الكثيرة المتنوعة ، ولعل ما يؤكد هذا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [ سورة العنكبوت: الآية ٤٣] وكذا قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [ سورة الحشر: الآية ٢١] فالسنة النبوية اذن تستهدي بما في القرآن الكريم من أمثال ، وتتخذ هذه الأمثال منهجاً لها في التعليم .

وثانيهما : أن التعليم النبوي يأخذ بالأمثال في تعليم الحقائق والمفاهيم التي شرعها الله ﷻ ، لأن هذه الأمثال تستطيع أن " تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس ويتقبله العقل ، لأن المعاني المعقولة لاتستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم ، ولأنها فوق ذلك تكشف عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر ، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة ".( أبو العينين،١٩٨٠م :ص١٣٧-١٣٨ )

وفي ضوء هذا المعنى نجد أن هناك الكثير من الشواهد التي توضح مدى استخدام التعليم النبوي للامثال كوسيلة تعليمية لتجسيد المعاني والأفكار وتقريب مفهومها من المتعلمين ، ومن ذلك ما صح عنه ﷺ في ترغيب الناس في القرآن الكريم ، وتعريفهم بفضله على سائر الكلام ، ومن ذلك قوله ﷺ : (( مثل الذي يقرأ القرآن كالاترجه طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لايقرأ القرآن كالثمرة طعمها طيب ولاريح لها ))( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٦٥/٩)

كما أنّ التعليم النبوي استخدم ضرب الأمثال كوسيلة تعليمية لكي يوضح للصحابة ﷺ فضل الصلوات الخمس والمحافظة عليها في الحضر والسفر والأمن والخوف والسلم والحرب لقوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [ سورة البقرة: الآية ٢٣٨-٢٣٩] ، فتمشياً مع هذا التوجيه القرآني الكريم فقد ضرب الرسول ﷺ المثل ليؤكد للناس ضرورة الاهتمام بالصلاة وأدائها على أكمل وجه ، فمن ذلك قوله ﷺ : (( أرأيتم لوأن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دونه شئ قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوبها الله الخطايا )) . ( مسلم،١٣٧٥هـ: ١٧٠/٥)

كما ضرب التعليم النبوي المثل لتعليم الصحابة ﷺ لاختيار الصديق والجليس الصالح ، وفي هذا نجد الرسول ﷺ يقول : (( مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك واما أن تباع منه ، واما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد ريحاً )) ( ابن حجر ،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٦٦٠/٩) ومن ذلك قوله ‘: (( انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني ، واني أنا النذير العريان ، فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل مَن اطاعني فاتبع ما جئت به ومثل مَن عصاني وكذب بما جئت به)) (ابن حجر ،١٣٧٨هـ: ٢٥٠/١٣)[١]

٢- **القصة** : أنَّ استخدام القصة كوسيلة تعليمية له أكبر الأثر في العملية التعليمية التعلمية ، وتنشئة المتعلمين على نحو سليم محقق للأهداف التي تسعى إليها التعليم ، ومَرَدُّ ذلك أن الأسلوب القصصي ملئ بكل أنواع التعبيرات الغنى ومشخصاته من حوار إلى سرد إلى تنغيم موسيقي إلى دقة

---

١- انظر: وزّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٢٠٤- ٢٠٧

في رسم الملامح إلى اختيار دقيق للخطة الحاسمة في القصة ، ولكون القصة " من أشد العوامل في تثبيت الفكرة في نفس السامع " ( الجسر، د.ت: ص ١٣٨)

وبالنظر إلى التعليم النبوي نجد أنه اهتمَّ اهتماماً كبيراً بالاسلوب القصصي كوسيلة تعليمية يمكن الاستفادة منها لبلورة الحقائق والمفاهيم والتعميمات الشرعية ، ويرجع هذا الاهتمام من جانب التعليم النبوي بأسلوب القصة إلى أمرين مهمين :

أولهما : ما وجه إليه القرآن الكريم من خلال تأكيده على الغرض القصصي إذ يظهر هذا جلياً من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[ سورة يوسف : الآية ٢]

وثانيهما : أنّ التعليم النبوي تريد استخدام العرض القصصي ، لأنه من الأمور التي يميل إليها المتعلم ، ولأنها تساعد على توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة لذيذة ، وتساعد على تعليم الفرد تعليماً خلقية صحيحة .

ومن مظاهر استخدام القصص كأحد الوسائل التعليمية في التعليم النبوي ، مارواه أبو هريرة _ أن رسول الله ﷺ قال : (( كانت امرأتان معهما أبناءهما جاء الذئب ، فذهب بابن احدهما فقالت لصاحبتهما : إنما ذهب بابنك : فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود ، فأخبرتاه ، فقال : ائتوني بالسكين أشقه بينهما ، قالت الصغرى : لاتفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى )) ( ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٥٥/١٢) من هذا الحديث يظهر بوضوح مدى استخدام التعليم النبوي للعرض القصصي كوسيلة تعليمية، يستفاد من ذلك أيضاً أن هذا العهد استخدمها لكونها سلاح نفسي في الدعوة المحمدية إلى عقيدة التوحيد وفي اقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو هذه العقيدةونيل أهدافها.

ومن أمثلة الاهتمام بالأسلوب القصصي في التعليم النبوي ما رواه أبي هريرة _ أن رسول الله ﷺ قال : (( بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشربه فغفر الله له : قالوا يارسول الله وان لنا في البهائم أجرا؟ فقال : في كل ذات كبد رطب أجرا)) (ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٤٣٨/١٠) ونستنتج من هذا الحديث

الشريف التصوير الدقيق المؤثر في القصة التي ساقها الرسول ﷺ ، مما دفع الصحابة ﷺ لأن يسألوا في استغراب ، وهذه إن دل على شئ فإنما يدل على مدى تأثير القصة في نفس السامع ووجدانه .

ونستطيع القول أن التعليم النبوي قد استخدم القصة كوسيلة تعليمية ،وكان استخدامه لهذا الوسيلة رائعاً مؤثراً ، ولقد استخدمها الرسول ﷺ لادراكه بأنها " تؤثر في النفس إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر حيث إن القصة ذات المغزي الاخلاقي المثير قد تخالج أعماق النفس ، فتحرك الدوافع الخيرة في الإنسان ، وتطرد النوعات الشريرة منه ، فهي قد يجعل القارئ أو السامع يتأثر بما يقرأ أو يسمع فيميل إلى الخير وينفذه ويمتعض عن الشر فيبتعد عنه" ( سيد قطب ، ١٩٧٨م: ص١٣-١٤) [١]

٣- **الرسوم الإيضاحية** : تعتبر الرسوم والاشكال الايضاحية من أبرز الوسائل التعليمية التي يمكن الاستفادة منها في التعليم ، لكونها تساعد على إيصال وتقريب المعنى إلى اذهان المتعلمين وتجعلهم أكثر حيوية ونشاطاً لتعلم الحقائق الشرعية ، ولكونها تساهم في اتاحة الفرصة أمامهم للاستجابات والتصورات دون حجبها عن التفكير والنخيل ، كما تمتاز الرسوم التوضيحية كأحد فروع الوسائل التعليمية بقدرتها على " توجيه عملية التفكير وذلك من حيث خطواتها ومعدلاتها والعمل إلى حد ما مراقبتها وضبطتها خلال الأنشطة الخاصة بحل المشكلات " ( مطاوع ، ١٩٨١م: ص٧٧- ٧٨)

والمتتبع للتعليم النبوي يجده قد وجه إلى أهمية الرسوم الايضاحية وضرورة الأخذ بها في العملية التعليمية ، ويظهر هذا التوجيه من خلال استخدام الرسول ﷺ لها ، ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن عباس _ قال: (( خطَّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، قال : تدرون ما هذا . فقالوا : الله ورسوله أعلم .فقال رسول الله ‘ : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أجمعين )) ( أحمد بن حنبل : ١٣١٣هـ : ٢٩٣/١)

وتشير كتب السنة في أكثر من موضع أن الرسول ﷺ استخدم الرسوم التوضيحية ليبين للناس طرق الخير والفلاح ، ويبين لهم أيضاً سبل الشيطان ، ليمكنهم ‘ من أمر دينهم وليجعلهم دائماً على المحجة البيضاء ، ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود عنه قال : (( خطَّ لنا رسول الله خطاً ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : هذه

---

١- انظر: وزّان ،١٤١٣ هـ ١٩٩٣م : ٢٠٧-٢١٠ .

سُبُل يريد سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه ثم قرأ (أحمد ابن حنبل : ١٣١٣هـ: ٤٣٥/١) ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [ سورة الأنعام : الآية ١٥٣] .

ومن الشواهد أيضاً على استخدام الرسول ﷺ في تعليمه للرسم الإيضاحية ما صحّ عنه ﷺ في توضيحه للمسلمين عن الإنسان في وجوده الحي وسلامته ومساره ، وتطلعه إلى المستقبل ، فعن عبد الله بن مسعود عن الرسول ﷺ : (( أنه خطَّ خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارج منه ، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال : هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به أ قد أحاط به ، وهذا الذي خارج أمله ، وهذه الخطط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وان اخطأه هذا نهشه هذا )) ( ابن حجر ،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٢٣٥/١١-٢٣٦)

وهكذا يمكن القول أن الرسوم التوضيحية كوسيلة تعليمية لها تأثيرها الواضح على تعلّم الصحابة ﷺ ، ذلك لأن لها "دور جيد في ابراز الكثير من المعارف ، وتقديم مختلف أنواع المعلومات والبيانات بطريقة سهلة )) ( الكلوب،١٩٧٧م:ص٢٣١)[١]

٤ - **النماذج والعينات** : الواقع أن هناك مواقف تعليمية كثيرة تتطلب وجود النماذج والعينات كوسائل تعليمية تساعد المتعلم على فهم هذه المواقف واستيعابها ، ومن هنا اصبح استخدام هذا النوع من الوسائل أمراً ضرورياً لأنه يشتمل على أشياء كثيرة يمكن رؤيتها أو لمسها الأمر الذي يؤثر على سرعة استجابة المتعلمين لما يتعلمون من الحقائق والمفاهيم .

ومما لاريب فيه فإن استخدام النماذج والعينات في العملية التعليمية يعد أحد المحاور الأساسية لادخال الحيوية والنشاط على الموقف التعليمي لكونها " تعطي أكثر مما تعطيه الصورة أو الرسم التخطيطي ، وتتميز العينات بأن التلاميذ يستطيعون دراستها بأبعادها المختلفة ومن أية زاوية ، كما يستطيعون تحسسها فتعطي أثراً دقيقاً وتيس التعليم وتثبته " ( ابراهيم، ١٩٧٤م:ص١٧٥)

وتكشف لنا كتب الحديث الشريف عن مدى استخدام التعليم النبوي لهذا اللون من الوسائل التعليمية ، ولعلنا نستطيع أن نتبين ذلك من خلال الحديث الشريف الذي يورد تفاصيل الأشياء التي حرمت على أمة الرسول ‘ من الذكور ، فعن علي بن أبي طالب قال : (( أخذ الرسول ﷺ

---

١ - انظر: وزّان ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٢١٠- ٢١٣

ذهباً بيمينه وحريراً بشماله ثم رفع بهما يديه ، فقال هذين حرام على ذكور أمتي )) (أحمد بن حنبل : ١٣١٣هـ: ص٩٦) .

فالرسول ﷺ بهذا الحديث يرسم لنا طريقاً تعليمياً للأخذ بالنماذج والعينات ، إلى جانب تلك الوسائل التي أشرنا إليها .

ومن هنا ندرك مدى حرص التعليم النبوي على استخدام الوسائل التعليمية ، ونكشف مدى تنويعها في هذه الوسائل ، وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على ثراء الفكر التعليمي في التعليم النبوي واتساعه لكل المضامين التعليمية التي تعمل على بناء شخصية الفرد وتدعيمها بكل ما يحقق لها العيش السليم والنمو في كل مجالات الحياة الانسانية . (انظر: وزّان ،١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٢١٣-٢١٤ )

## ١٠,٣ العلوم المتداولة في التعليم النبوي

لم يقتصر التعليم في التعليم النبوي ﷺ على المراحل الأولية لتعليم الكتابة والقراءة، بل عرف أنماطاً أخرى عالية وتخصصات دقيقة، لم تكن مرتبطة في الغالب بمعرفة الكتابة ، وإنما كانت تتم عن طريق السماع والمشافهة، فهو وسيلة التثقيف الأولى في ذلك العهد، وقد برز عدد من الصحابة ﷺ المتخصصين في فن بعينه كما جمع بعضهم بين فنون عدة .

وقد قام هؤلاء الصحابة ﷺ بمسؤوليتهم في نشر العلم وتفتيح العقول عليه،وتنمية أعداد طلبته ، وإمداد الدولة بما تحتاج إليه من العناصر القيادية .

وكانت موضوعات التعليم تتمثل في القرآن وعلومه ، و الحديث ، و الفقه ، و اللغة العربية ، و التاريخ ، و الأنساب ، و الشعر، و القصص ، و الحكم ، و الأمثال ، و التنجيم واللغات والثقافات الأجنبية.

وفيما يلي عرض لهذه العلوم مع الإشارة إلى أبرز المتخصصين في ذلك العصر، وفقاً لما قام به الدكتور أكرم ضياء العمري ( د.ت : ص ٣٠٤- ٣٢٤ ) من ايضاحها مفصلاً على مايلي :

### ١,١٠,٣ القرآن و علومه

لا شك في أن حفظ القرآن وإقراءه وتفسيره ، يتقدم بقية الموضوعات ، فهوالكتاب الوحيد المدون كاملاً في ذلك العصر، وقد بدأ

المسلمون تدوينه أثناء نزوله مفرقاً على الرسول ﷺ، ثم جمعت من هذه المدونات المفرقة نسخة واحدة في خلافة أبي بكر الصديق ، وقام على هذه المهمة زيد بن ثابت بأمر أبي بكر الصديق ، تنفيذاً لما أشار به عليه عمر بن الخطاب ، وقد انتقلت هذه النسخة إلى عمر في خلافته، ثم أودعت عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين .

وقد أُعِيد جمع القرآن في خلافة عثمان بن عفان _ من قبل لجنةرباعية كونها عثمان ، كلفت القيام بهذه المهمة ، وتتألف اللجنة من زيد بن ثابت إذ تم اختياره نتيجة عوامل منها : استماعه إلى العرضة الأخيرة للقرآن من النبي ﷺ نفسه بنصه الكامل الخالد دون الآيات التي نسخت تلاوتها من ناحية ، وقيامه بالجمع الأول في خلافة أبي بكر _، ومن قبل عمله كاتباً للوحي زمن الرسول ﷺ.

والثلاثة الاخرون في هذه اللجنة هم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأعضاء اللجنة كلهم من قريش إلا زيد فهو أنصاري، وقد وضع عثمان للجنة قاعدة العمل بقوله: " ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش ، فانه نزل بلسانهم ".( ابن سعد ،١٩٧٧م: ١٥١/٣ )

وقد أتمّت اللجنة عملها وأقرهم عليه الصحابة آنذاك، حيث تم نسخ ستة مصاحف وزعت أربعة منها على الأمصار، مكة والشام والكوفة والبصرة ، وبقيت النسخة الخامسة في المدينة،واحتفظ عثمان بالنسخة السادسة.

ثم نقلت سائر المصاحف عبر القرون التالية عن مصحف عثمان الذي عرف بالمصحف الإمام، وسمي رسمه بالرسم العثماني .

وكان النص القرآني خاليا من النقط والحركات، تحتاج قراءته إلى السليقة اللغوية، وأدى نزوله على سبعة أحرف إلى نشوء بعض الاختلافات في قراءته، وكان ما فيه من الاجمال والعموم والناسخ والمنسوخ بحاجة إلى معرفة أسباب النزول وتحديد القراءات الصحيحهُ وتفسير المعاني وبيان الأحكام التشريعية ، وذلك كله يحتاج إلى تخصص دقِيق ، وقد برز في القراءات عدد من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وكان يمتلك مصحفا مدوناً حمله معه إلى الكوفة ، وقدر له أن يسمع سبعين سورة بلفظ الرسول ﷺ . ( ابن سعد ،١٩٧٧م: ١٥١/٣ )

كذلك برز زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب الذي كان ممن يعلم الناس القرآن . ( البيهقي ،١٣٤٤هـ : ١٢٦/٦ )

وقد أوصى الرسول ﷺ الصحابة ﷺ بأخذ القرآن من أربعة، هم: عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة ( الخزاعي ، ١٤٠١هـ : ص ١٣٣) .

وقد حفظ على بن أبي طالب القرآن كاملاً بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة ( المتقي الهندي ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م: ١٢٨/١٣) ، ووردت أحاديث كثيرة في الحث على حفظ القرآن وقراءته وتدبر معانيه ، ومعرفة مقاصده ، منها حديثه ﷺ : ((تعلموا القرآن )) ( الألباني ،١٩٧٢م:ح٢٥٨)

أما التفسير فكان يعتمد على شرح الرسول ﷺ للآيات ، وكانت أسباب النزول معروفة لعلماء الصحابة ﷺ لأنهم عاشوا مع الأحداث ، ونجد ابن عباس يعتمد كثيراً على شواهد الشعر الجاهلي في التفسير، ولم تظهر بوادر التفسير بالرأي في ذلك العصر، بل نجد أبا بكر_ يحذر منه بقوله : " أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني ، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم " ( الخطيب ،١٤٠٣هـ: ١٩٣/٢).

وتبرز عدة مصطلحات تتعلق بعلوم القرآن في كلام عبد الله بن عباس ، فقد فسرمعنى الحكمة في الآية ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [ سورة البقرة : الآية ٢٦٩] بأنها " المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحرامه وحلاله و أمثاله " ( ابن الجوزي، ١٤٠٤ هـ:١١٠)[١].

## ٢,١٠,٣ الحديث

مع وجود عدد من الكُتّاب في العهد النبوي، وقيامهم بتدوين القرآن الكريم، فانه لم يتم تدوين الحديث النبوي بشمول واستقصاء، بل اعتمدوا على الحفظ والذاكرة في أغلبه ، ولم يأمرهم النبي ‘ بكتابته، ولعله بهذا أرادالحفاظ على ملكة الحفظ عندهم ، خاصة أن الحديث تجوز روايته بالمعنى خلاف ما عليه القرآن الكريم ، الذي هو معجز بلفظه ومعناه، ومن ثم فلا تجوز روايته بالمعنى لذلك اقتضت الحكمة حصر جهود الكاتبين في نطاق تدوين القرآن الكريم ، وللتخلص من احتمال حدوث التباس عند عامة المسلمين فيخلطوا القرآن بالحديث إذا اختلطت الصحف التي كتب فها القرآن بالصحف التي كتب فيها الحديث ، خاصة في الفترة المبكرة، عندما

١ - انظر ، العمري، د.ت : ٣٠٤- ٣٠٧

كان الوحي ينزل بالقرآن ، ولما يكمل القرآن ،ولما يعتد عامة المسلمين على اسلوبه[1].

وقد وردتْ أحاديث عن النبي ﷺ تنهى عن كتابة الحديث، ووردت أحاديث أخرى تسمح بكتابته ، وأقوى أحاديث النهي ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٧٥هـ: ٢٢٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري قال: " جهدنا بالنبي ﷺ أن يأذن لنا في الكتابة فأبى "

وأقوى أحاديث السماح بالكتابة ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه(د.ت: ٣٨/١) من حديث أبي هريرة قال: (( ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثرحديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب )) .

وحديث آخر أخرجه البخاري في صحيحه (د.ت :٣٨/١) أن رجلاً من أهل اليمن طلب من الصحابة أن يكتبوا له خطبة النبي ﷺ بعد الفتح، فاستأذنوا النبي ﷺ في ذلك فقال: (( اكتبوا لأبي فلان )).

وحديث ثالث أخرجه البخاري (د.ت:٢٩/١) أيضاً وهو قول النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه : (( آتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده )) .

وفي التوفيق بين حديث أبي سعيد الخدري وهذه الأحاديث يقول الرامهرمزى (د.ت: ١٧١) عن حديث أبي سعيد: " أحسبه أنه كان محفوظاً في أول الهجرة ، وحين كان لا يؤمن الإشتغال به عن القرآن "، وممن ذهب إلى نسخ أحاديث النهي ابن قتيبة الذينوري ( ابن قتيبة ،١٣٢٦٥:٣٦٥) .

وقد وقف الصحابة مواقف متياينة من كتابة الحديث، فمنهم من كره الكتابة ومنهم من أجازها، ومنهم من روي عنه الأمران.

فمن مواقف كبار الصحابة الذين كرهوا كتابة الحديث ما يلي:

١- جمع أبو بكر الصديق خمسمائة حديث ثم أحرقها ( الذهبي،١٩٥٥م:٥/١)

٢- استشار عمر بن الخطاب الصحابة في تدوين الحديث، ثم استخار الله تعالى في ذلك شهراً ثمَّ عدل عن ذلك وقال معللاً: " إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فاكتبوا عليها

---

١ - لعبد الله بن رواحة قصة مع زوجته حيث قرأ عليها من شعره أبياتاً حسبتها قرأناً. (الذ هبي، د.ت : ١/ ٢٣٨) .

وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا "( الخطيب،١٩٤٩م:ص٥٠)[١]

٣- قال علي بن أبي طالب : " أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم " ( ابن عبد البر،د.ت: ٦٣/١)

٤- أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ، وقال : " بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون " (ابن عبد البر،د.ت:٦٥/١)

٥- وردت روايات تدل على كراهية صحابة آخرين لكتابة الحديث وهم: زيد بن ثابت وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وأبو موسى الأشعري ، وقد أوضح كل منهم أن سبب كراهته لكتابة الحديث، راجع إلى خوفه من انشغال الناس بها وانصر افهم عن القرآن الكريم.

أما مواقف الصحابة التي تدل على إجازتهم الكتابة فهي:

١- كتب أبو بكر الصديق لأنس بن مالك فرائض الصدقة التي سنها النبي ﷺ ( أحمد بن حنبل،١٣١٣هـ:١١/١).

٢- كتب عمرلعتبة بن فرقد بعض السنن (أحمد بن حنبل،١٣١٣هـ:١٦/١) ، ووجد في قائم سيفه صحيفة فيها صدقة السوائم (الخطيب،١٣٥٧هـ:٣٥٣) .

٣- كان عند علي صحيفة فيها العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر.( البخاري، د.ت: ٣٨/١)[٢]

٤- كان عبد الله بن عمر اذا خرج إلى السوق نظر في كتبه المدونة في الحديث . ( الخطيب،١٤٠٣ :١٤/٢)

٥- وردت أخبار عن إجازة بعض الصحابة الآخرين الكتابة مثل: عائشة، وأبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ن عمرو بن العاص، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، والحسن بن علي، وعبد الله بن أبي أوفى .

وبعضهم كان يكره الكتابة ثم أجازها ، ولا تناقض في مواقفهم لأن سبب كراهتهم هو الخوف من اختلاطها بالقرآن أو مزاحمتها له، أما

---

١ - وابن عبد البر،د.ت: ١: ٦٤ .

١ - و ابن سعد: ١٩٧٤- ١٩٧٧م ١/ ٤٨٦.

حين يأمنون ذلك فإنهم يجيزون كتابة الحديث، ولذلك فقد كتب بعضهم الأحاديث في الصحف في عهد النبوة والراشدين ومنها:

١- صحيفة سعد بن عبادة الأنصاري _.
٢- صحيفة عبد الله بن أبي أوفى _.
٣- نسخة سمرة بن جندب _ ت ٦٠ هـ جمع فيها أحاديث كثيرة.
٤- كتب أبي هريرة _.
٥- صحيفة أبي موسى الأشعري _ ت ٥٠ هـ .
٦- صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري _ ت ٧٨ هـ .
٧- الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص _ ت ٦٥ هـ وقد نقلها الإمام أحمد في مسنده . ( العمري،١٩٧٥م: ٢٢٣) .

وغير ذلك من الصحف التي دونت في هذه الفترة المبكرة، وقد أحصى أحد الباحثين أسماء اثنين وخمسين صحابياً كتبوا الأحاديث النبوية (انظر: الأعظمي ،د.ت:٩٣-١٤٢)، مما أدى إلى توسع الأجيال التالية في كتابة الحديث حتى جمعته الكتب الستة وغيرها من مدونات الحديث الضخمة. ( العمري ، د.ت :ص ٣٠٧- ٣١١ )

### ٣,١٠,٣ **الفقه :**

يشتمل الفقه على أحكام العبادات والمعاملات معاً، وبذلك ينظم سائر النشاط الفردي و الجماعي في ذلك العصر، ومصادره الكتاب والسنة والاجماع والقياس، وقد برز عدد من الفقهاء اللامعين الذين تركوا ثروة فقهية يأخذ عنها الفقهاء المعاصرون.

ويذكر ابن القيم أن الذين حفظت عنهم الفتوى من الصحابة مائة ونيف وثلاثون صحابيا ، بين رجل وامرأة ، وأن المكثرين منهم سبعة هم: عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وينقل ابن القيم عن ابن حزم قوله: " ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم " (ابن القيم ،١٣٧٤هـ ١٩٥٥م:١٢/١).

أما المقلُّون في الفتيا منهم ، وهم أكثر من عشرة ومائة صحابي، فقال ابن حزم : إنه يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث . (ابن القيم ،١٣٧٤هـ ١٩٥٥م: ١٢/١).

ومن الجدير بالذكر أن بعض المعلومات الفقهية كانت مدونة في عصر السيرة نفسه ، منها كتاب الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم الأنصاري في الفرائض والزكاة والديات.

وكان عمر يذاكر بالفقه ، ويأمر بتعلم السنن والفرائض والتفقه في السنة (المتقي الهندي ،١٣٩٨هـ ١٩٧٨م:٢٥٢/١٠). وكان لدى علي صحيفة تتناول الصدقات والديات وحرم المدينة ، وقد ورثها عن النبي ﷺ مع سيفه ذي الفقار حيث كانت معلقة بجفن السيف.

وكذلك دونت في تلك الفترة المبكرة بعض أقضية على وفتاويه (مسلم،١٣٧٥هـ:ص١٣) [1].

## ٤,١٠,٣ اللغة العربية :

وقد ظهرت العناية باللغة العربية لأهميتها في فهم نصوص القرآن والسنة ، وكذلك لأهميتها الذاتية ، وقد نقلت المصادر عدة توصيات لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم العربية ورواية الشعر، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري حينما كان واليه: " مُرْ مَن قبلك بتعلُّم العربية فإنها تدل على صواب الكلام ، ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق (المتقي الهندي ،١٣٩٨هـ ١٩٧م :٣٠٠/١٠)

ونقل قوله : " تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة " (الخطيب ،١٤٠٣هـ :٢٥/٢).

وقوله : " عليكم بالتفقُّه في الدين والتفقه في العربية وحسن العربية "( المتقي الهندي ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م : ٢٥٤/١٠).

وقوله : " أعربوا القرآن فإنه عربي " ( المتقي الهندي، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م:٢٥٢/١٠).

وكان عبد الله بن عمر يضرب بنيه إذا لحنوا(الخطيب،١٤٠٣هـ :٢٩/٢) ، ولا شك أن العهد النبوي والصحابة ﷺ يمثل بداية جديدة لإزدهار اللغة العربية التي اعتزَّ بها أصحابها وتعلَّمها المسلمون الجدد في المناطق المفتوحة وهذا ليس غريباً فهي لغة الدين و الدولة الجديدة . ( انظر العمري، د.ت : ٣١٣- ٣١٤ )

## ٥,١٠,٣ التاريخ

[1] - انظر : العمري، د.ت : ص ٣١٢- ٣١٣

أما علم التاريخ فقد انصبت العناية على السيرة النبوية وأخبار الأنبياء الماضين، ولا شكَّ في أن القرآن الكريم وجه أتباعه إلى العناية بالتاريخ بإشاراته التاريخية المتنوعة وبعطائه الثر في ميدان التعليل للأحداث وإثبات قانون السببية وخاصة في موضوع قيام الدول وانهيار الحضارات، لكن المعلومات التاريخية كانت تنقل مشافهة في الغالب حيث تأخَّر التدوين التاريخي عن هذا العصر، باستثناء صور من عصر النبوّة دونها بعض الصحابة ضمن الأحاديث النبوية.

وتشير رواية قديمة إلى أن الخليفة علي بن أبي طالب _ حثّ وهب بن منبه على تعلم تاريخ الحميريين . (ابن هشام،١٣٤٧م: ص٨٢)[١]

وكانت بعض المعلومات التاريخية والوثائق مدونة في ذلك العصر مثل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء، ورسائل الخلفاء الراشدين ﷺ إلى القادة في ميادين القتال وإلى ولاة الأمصار، ولكن هذه الوثائق الرسمية لم تكن بالطبع ضمن المواد التعليمية ، وربما لم يطلع علها أنذاك غير عدد محدود من الناس . (انظر: العمري، د.ت : ٣١٤- ٣١٥)

## ٦,١٠,٣ علم الأنساب

أما علم الأنساب، فهو علم عرفه المسلمون عن العصر الجاهلي، لكنهم جمعوه ودونوه، فضلاً عن شيوعه بينهم، وقد استمر الاهتمام بالأنساب في عصر السيرة و الراشدين لضرورات دينِة واجتماعية وعسكرية وإدارية ، وفي الوقت الذي حرم الإسلام العصبية القبلية والتفاخر بالأنساب، فإن للأنساب أهمتها في تطبيق أحكام الأحوال الشخصية من زواج وميراث، وفي معرفة أنساب المحدثين لتمييز رواةالحديث ، وفي توزيع العطاء ، وفي النظيم العسكري حيث كانت القبيلة وحدةمقاتلة كما أنها كانت أساس التنظيم الاجتماعي والإداري في الأمصار، ويمكن أن نعتبر ديوان الجند في خلافة عمر أول يدوين شامل للأنساب ، وقد صخ أن الرسول ﷺ أمر بتعلم الأنساب فقال : (( تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم )) .(احمد بن حنبل،١٣١٣هـ: ٣٧٤/٢)[٢]

---

١ - وفؤاد سزكين ، ١٩٧٧م : ٤٠٢/١.

٢ - و الألباني ، ١٩٧٢م : ح ٢٧٦.

وقد ذكر الجاحظ ١٤ مؤلفاً صنَّفوا كتباً في الأنساب معظمهم عاش قبيل الإسلام أو وقت ظهوره . ( الجاحظ ،١٣٦٤هـ: ٣/-٢٠٩-٢١٠)[١]

وقد اشتهر بعض الصحابة ﷺ بمعرفة علم النسب وكان منهم أبو بكر الصديق . (فؤاد سزكين، ١٩٧٧ م:١/ ٤٠٥).

وقد كلَّف الخليفة عمر بن الخطاب ثلاثة من نسابي قريش وهم جبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل عمل جدول بالأنساب.( انظر: ابن سعد،١٩٧٧م:٣/٢٩٥-٢٩٩)[٢]

وكان عقيل بن أبي طالب " عالماً بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة " (ابن حجر: ١٣٢٨ هـ: ٤/ ٥٣٢) ، وكذلك اشتهر حكيم بن حزام الأسدي بعلمه بانساب قريش وأخبارها (فؤاد سزكين ، ١٩٧٧ م:٤/٥٣٢) [٣].

## ٧,١٠,٣ **الشعر**

وتدلّ الشواهد الشعرية العديدة على أن القبائل اهتمَّت بتقييد أشعار شعرائها ، وبعض هذه القبائل كانت تسجل أيضا أخبار حروبها ووقائع أيامها ومفاخرها وماثرها وحكمها (انظر: الأسد،١٩٥٦م :١٠٧-١٣٣،١٦٥).

وقد أفاد جيل عصر السيرة والراشدين من هذه الأشعار في فهم القرآن الكريم وتفسير معانيه قال ابن عباس : " إذا سألتموني عن عربية القرآن فالتمسوه بالشعر، فإن الشعر ديوان العرب " ( الخطيب،١٤٠٣:٢/١٩٨).

وقد سمع النبي ﷺ الشعر، وأثنى على بعضه فقال: " إن من الشعر حكمة " ( البخاري، د.ت: ح٦١٤٥). وامتدح الشعراء المسلمين الذين نافحوا عن الذين، وقد برز في العهد النبوي من شعراء الإسلام حسَّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة .

---

١ - وفؤاد سزكين، ١٩٧٧ م.١/ ٤٠٣.

٢ - البلاذري، ١٩٧٧م : ٤٣٦- ٤٣٧؛ الطبري،١٤٠٧ : ١/ ٢٧٥٠- ٢٧٥٢؛ وفؤاد سزكين، ١٩٧٧م: ١/ ٤٠٤.

٣- انظر العمري ، د.ت : ٣١٥- ٣١٦)

وبنى عمر رحبة في ناحية المسجد النبوي سميت بالبطيحاء، وقال: "من كان يريد أن يلفظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة ، فقد نهى النبي ﷺ عن تناشد الأشعار في المسجد " ( الخزاعي،١٣٠:١٤٠١).

وقال كثير بن أفلح: " آخر مجلس جالسنا فيه زيد بن ثابت تناشدنا فيه الشعر"( الخطيب،١٤٠٣ : ١٣١/٢) [١] .

## ٨,١٠,٣ القصص

أما القصص فقد بدأ في وقت مبكر، وكان القصَّاصون يقومون بدور وعظي، وكان الأسود بن سريع السعدي شاعراً، وكان في أول الإسلام قاصاً، وهو أول من قص في مسجد البصرة . (ابن حجر،١٣٢٨هـ:٧٤/١).

وقد استأذن تميم الداري عمر بن الخطاب ليقصّ على الناس فلم يأذن له، وكان عمر بن زرارة يقصُّ على الناس في مسجد الكوفة في حياة عبد الله بن مسعود الذي اعترض عليه . (السيوطي،١٣٥١ :٥٩-٦١).

وقد نهى علي بن أبي طالب أبا يحيى عن القص في مسجد الكوفة لأنه لا يعرف الناسخ والمنسوخ . (ابن الجوزي،١٤٠٤:١٠٥-١٠٩) [٢] .

## ٩,١٠,٣ الحكم و الأمثال

قد أضيف في الإسلام إلى حكم وأمثال العرب في الجاهلية قدر كبير، حيث ضرب القرآن الكريم والحديث النبوي الأمثال الكثيرة التي صنفت فيها فيما بعدمؤلفات كثيرة ، وبالطبع لا يمكن أن نقبل بسهولة تأويل ابن خلدون لكلمة " الحكمة" التي وردت في القرآن ﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [ سورة البقرة : الآية ٢٦٩] بأنها تعني الفلسفة (ابن خلدون، ١٩٨١م :ص ٥٤٩ ) ، لأنها في الحقيقة تعني ما فهمه العرب- الذين نزل القرآن بلغتهم- من كلمة " الحكمة " وهو: فهم القرآن والسنة والإصابة في القول والفعل ( ابن عبد البر، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م : ص ١٧) وللحكم والأمثال أهمية تربوية ، فقد روي عن علي بن أبي طالب قوله: " روحوا

---

١ - انظر العمري ، د.ت : ٣١٦- ٣١٧.

٢ - انظر العمري ، د.ت : ٣١٧- ٣١٨.

القلوب، وابتغوا لها طرف الحكمة ، فانها تمل كما تمل الأبدان " ( ابن عبد البر، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م : ص ١٠٥) [١]

## ١٠,١٠,٣ الطب

ولقي الطب اهتماماً واضحاً، وكانت أحداث الجهاد وكثرة الجراحات دافعا قويا لذلك، وقد ورث المسلمون خبرات العصر الجاهلي الطبية، وأشهر أطباء العرب الذين عاصروا ظهور الإسلام الحارث بن كلدة الثقفي ، والمتطبب الشمردل بن قباث الكعبي النجراني ، وكان ضماد بن ثعلبة الأزدي يتطبب ، وقد رحل في طلب علم الطب. (ابن حجر،١٣٢٨هـ :٥٩٥/١).

وقد أضاف النبي ﷺ رصيداً ضخماً إلى التراث الطبي الجاهلي كما يظهر ذلك في كتب الطب النبوي ، ولا شك أن علم الطب ازداد رصيده في عصر الراشدين بإضافة معلومات الفرس والروم الطبية إليه. ( انظر العمري ، د.ت : ص ٣١٩ ).

## ١١,١٠,٣ علم النجوم " التنجيم "

ومنذ ذلك العصر كانت النظرة إلى علم النجوم مفعمة بالشك، فليس من أحد يعرف الغيب إلا الله وحده ، وقد أبطلت الكهانة والسحر وعلم النجوم التي كانت شائعة في الجاهلية بحكم العقيدة الإسلامية، فورد في الحديث النبوي: " من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد " [٢]. قال عبد الله بن عباس : " قوم ينظرون في النجوم يكتبون " أبا جاد" أولئك لاخلاق لهم " (ابن سحنون،د.ت:٦٢)

ولا شكَّ أن علم التنجيم فيه ادعاء معرفة الغيب، وجعل الأفلاك وحركتها مؤثرةفي أقدار الناس ومصائرهم ، ولا علاقة له بعلم الفلك الذي اهتم المسلمون بهوأضافوا إلى تراث الانسانية في مجاله.

---

١ ـ انظر العمري ، د.ت : ص ٣١٨.

٢ ـابن ماجة، ١٩٥٣م : ١/ ١٢٢٨ ،ح ٣٧٢٦ناده ضعيف فيه عبيد الله بن الأخنس صدوق يخطئ.

إن التمييز بين العلمين كان واضحاً في العهد النبوي والصحابة ﷺ ، فقد قال عمر : " تعلَّموا من النجوم ماتهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا" (انظر: ابن عبد البر،د.ت : ٣٨-٣٩) [١].

## ١٢,١٠,٣ الثقافة و اللغات الأجنبية

لم يكن الحجاز في عزلة عن العالم المحيط به من الشمال والجنوب، فالمجتمع المكي التجاري له رحلات منظمة في الشتاء والصيف إلى الشام واليمن، وهذه الرحلات أكسبتهم خبرات لا تقتصر على النواحي الاقتصادية، بل تمتد إلى الثقافة أيضاً، والمجتمع المدني تعيش فيه جالية كبيرة من القبائل اليهودية التي تنتشر بينها العبرية، والتوراة والقصص الديني التاريخي. وقد وردت إشارات مبعثرة في المصادر التاريخية تبين معرفة بعض العرب بالعبرية، فقد صح أن ورقة بن نوفل كان يكتب الانجيل باللغتين العربية والعبرية. ( البخاري،د.ت : ٢/٢١٤)[٢]

ويبدو من عدم ورود إشارات في المصادر عن معرفة الأنصار بالعبرية، أن اليهودلم يستعملوها في الحياة اليومية ، بل كانوا يتخاطبون بالعربية، وربما لم يكن يعرف العبرية سوى أحبارهم ، لذلك ظهرت الحاجة إلى أن يتعلم بعض المسلمين في المدينة اللغة العبرية ، قال زيد بن ثابت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لي : ((تعلم كتاب اليهود فإني والله ما آمن اليهود على كتابي قال: فتعلمته في أقل من نصف شهر )).( أبو داود،١٣٧١هـ:٤/٦٠ ح٣٦٤٥)[٣]

أما السريانية فقد تعلَّمها زيد بن ثابت أيضاً، فكان يقرأ الكتب التي ترد بها ويكتب ردّ الرسول ﷺ عليها . (الترمذي ، ١٣٦٨هـ١٩٦٣ م٥ /٦٧ح٢٧١٥)[٤].

---

١ - انظر العمري ، د.ت : ص ٣١٩- ٣٢٠.

٢ - ومسلم، ١٣٧٥ هـ:ح٢٥٢ .

٣-لترمذي ، ١٣٦٨هـ - ١٩٦٣ م ٥: ٦٧ ح ٢٧١٥ وابن سعد ، ١٩٧٧م : ٢/ ٣٥٨، والحاكم ، ١٣٤١ هـ : ١/ ٧٥، و الألباني، ١٩٧٢م : ٢/ ١٥٦ ح ١٨٧ وابن حجر ،١٣٩٦هـ - ١٣: ١٨٥ ح ٧١٩٥ معلّقاً.

٤ - و إبن سعد ، ١٩٧٧م : ٢/ ٣٥٨، والحاكم، ١٣٤١هـ : ١/ ٧٥، و الألباني ، ١٩٧٢م : ٢/ ١٥٦ ح ١٨٧، وابن حجر ،١٣٩٦ هـ ١٣: ١٨٥ ح ٧١٩٥ معلّقاً.

وكذلك تعلمها عبد الله بن عمرو بن العاص ( ابن سعد،١٩٧٧م : ٤٩٥/٧)، والحقيقة أن زيد بن ثابت كان وحده في عصر النبوة يعرف عدة لغات، فقد ذكر الخزاعي أنه " كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبي ، وكان ترجمانه بالفارسية والقبطية والحبشية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن " ( الخزاعي ،١٤٠١هـ :ص ٢٠٨).

أما عن التراث المكتوب باللغات الأجنبية ، فقد كانت تتوفر نسخ من التوراة في المناطق المفتوحة . (ابن حجر،١٣٢٨ هـ :٤٩٦/٣)

وكان عند عبد الله بن عمرو بن العاص جملة من كتب أهل الكتاب، وكان يقرأ فيها . ( الذهبي،١٩٥٥م:ص٤٢)

وقد حصل على كثير منها في وقعة اليرموك ، فكان يخير بما فيها من الأمور المغيبة، حتى إن بعض أصحابه ﷺ ربما قال له : حدثنا عن النبي ‘ ولا تحدثنا عن الصحيفة ، وكان أبو هريرة يعلم ما في التوراة وإن لم يقرأها، فقد علم شيئا مما فيها بواسطة الأشخاص المطلعين عليها . (ابن حجر،١٣٢٨ : ٤٤٠/٧).

وقد أظهر رجل كتاب دانيال بالكوفة، فأنكر الناس عليه أن يظهر غير القرآن . ( الخطيب،١٩٤٩م: ٥٦-٥٧) .

ولم يكن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون ﷺ من بعده يرغبون في أن يزاحم القرآن والسنة بهذا التراث الديني القديم ، فقد كانت العناية تتجه إلى فهم الإسلام قبل الانفتاح على الثقافات الأخرى حدث أن أتى عمر بن الخطاب الرسول ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله هذه نسخة من التوراة ، فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغيّر، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ‘ ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ‘ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، رضينا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ، فقال رسول الله ﷺ : " والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني " (الدارمي،١٤١٢هـ ١٩٩١م :١١٥/١-١١٦).

قال خالد بن عرفطة : كنت جالساً عند عمر إذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي ؟ قال: نعم ، فضربه بعصا معه، فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس، فقرأ عليه : ﴿ الر تِلْكَ ءايَاتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾، فقرأها عليه ثلاثا ، وضربه ثلاثا فقال له الرجل : مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كاب دانيال؟ قال: مرني بامرك

أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبحض، ثم لا تقرأه أنت ولا تقرئه أحدا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأهلكتك عقوبة، ثم حكي له عمر قصة مجيئه بالتوراة إلى النبي ﷺ وغضبه وكلامه في ذلك. ( الهيثمي، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م:١/١٨٢)[١]

إن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ من بعده نهوا المسلمين في أوَّل الإسلام عن الأخذ مما في كتب التراث الديني الأخرى، لأن الإسلام جاءهم بالشريعة الواضحة الخالصة من الشرك والشبهات ، المصونة عن التبديل والتحريف ، ففيها غنى وكفاية عما سواها من العقائد والأديان ، وكان هذا الحذر في تداول الكتب الدينية القديمة ضرورياً لصون الفكرة الإسلامية واستقرار التصور الإسلامي ، فلما استقر الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، واتضحت مقاييسه الفكرية والخلقية في أذهان الناس، تفتحوا على ثقافات الأمم وأديانها وعقائدها بعقلية ناقدة ونظرة مقارنة فاحصة، فكانت الدراسات التي تمثلها كتب كثيرة، ومنها ما تركه البغدادى وابن حزم والشهرستاني وغيرهم . ( انظر: العمري، د.ت : ٣٢٠- ٣٢٤)

## ١١,٣ أساليب التقويم في التعليم النبوي

### ١,١١,٣ مفهوم التقويم في التعليم النبوي

مع ازدياد الاهتمام بالتعليم كعملية يتمّ بموجبها إعداد الفرد وتنشئته التنشئة الاجتماعية الصالحة ، ازداد الاهتمام بالتقويم باعتباره أحد المقومات التي تلعب دوراً هاماً في تحسين العملية التعليمية وزيادة فاعليتها ، ونظراً للمكانة التي يحظى بها في العمل التعليمي ، فإننا سنذكر معنى التقويم في اللغة والاصطلاح بغية الوقوف على ماهيته ، وتسهيل مهمة البحث عن هذا المفهوم في التعليم النبوي .

فالتقويم في قواميس اللغة لفظ مشتق من الفعل " قوم" وقوّم الشئ بمعنى قدّره ووزنه وحكم على قيمته ، ونأخذ من هذا المدلول اللغوي أن الإنسان يحاول دائماً وبين حين وآخر أن ينظر إلى أفعاله وتصرفاته ويقارن بينها وبين تصرفات غيره ، ويعمل بصورة دائمة على أن يحكم

---

١- رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن اسحق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة . و أورد. البوصيري ، د.ت: ٢/ ١٣٥، وابن حجر١٣٩٣: ٤/ ٢٨.

على مدى ما حققه من خطأ أوصواب ، فيكشف أخطاؤه ويعمل على تجنبه ، ويكشف النواحي الايجابية في شخصيته ويقويها ويزيد منها ، بمعنى أن الإنسان يقوم دائماً بترويض نفسه وتقيمها وحاسبها ويكون دائماً متصفاً بصفة النفس اللوامة.

ولما كان التقويم في أحد معانيه اللغوية يعني تقدير جهود الناس وفعاليتهم في الحياة حساباً وجزاءً ، فلهذا نستطيع القول ان هذا المعنى قد أشارت إليه آيات كثيرة في القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [ سورة الزمر:الآية٧٠ ] ، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [ سورة غافر: الآية١٧] وكذا قوله تعالى :﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [ سورة الجاثية : الآية ٢٢] .

وبالنظر إلى المدلول الاصطلاحي للتقويم فإننا نجد ان هناك تفاوت في تعريفه ، فقد قيل في معناه " معرفة القيمة ، أي معرفة قيمة شئ أو فكرة أو معنى أو عادة أو مهارة ، أو استعداد ، أو خدمة ، أو أي وجه من أوجه النشاط" ( ابراهيم، ١٩٧٢م: ص٦٠٤) ، ويرى البعض ان التقويم الغرض منه معرفة ما اذا كان البرنامج التعليمي قد أسهم في تحقيق الأهداف التعليمية أو أخفق في ذلك فقيل ان التقويم هو : العملية التي يلجأ إليها المعلم لمعرفة مدى نجاحه في تحقيق الأهداف التي يسعى إليها " الدمرداش،١٩٧٢م ص١٤٦) ، وهناك مَن يرى أن التقويم " يتضمن التحسين أو التعديل أو التطوير على النحو الذي تحدد به تلك الأهداف "( ابو حطب، ١٩٧٣م: ص١-٢).

وبالنظر إلى مفهوم التقويم في التعليم النبوي نجد أن له فلسفة خاصة اشتقت جوانبه وأسسه وأهدافه من مفهوم التعليم في ذاك العهد ، فمفهوم التعليم في ذلك العهد يعني تلك " العملية التي تسعى إلى إيجاد الشخصية المتكاملة عن طريق تعليمها روحياً وجسمياً وعقلياً واجتماعياً ، وبناء مفاهيم الفرد عن خالقه ونفسه والكون الذي يعيش فيه في ضوء مجموعة من القيم والعقائد والمثل العليا ، وتساعد على تكوين العادات والاتجاهات المرغوبة ، وتعمل على تنمية ميول الفرد واشباع حاجاته بشكل يجعل الفرد مهيأ لعبادة الله ومهيئاً لتنفيذ شرع الله على أساس من التطبيق والممارسة في ضوء الكتاب والسنة " ( وزان ، ١٩٨٢م: ص٨٠) ، فلما كان هذا المفهوم هو المعمول به في التعليم الإسلامي ، لهذا نجد ان التقويم في ذاك العهد يشتق معانيه ومادته من هذا المفهوم ليصبح معناه مجموعة الأساليب والاجراءات الي تهدف إلى بلوغ أهداف التعليم

الإسلامي ، وتقدير ما يبذل من جهود ، والحكم على فاعلية هذه الجهود بقصد تحسين الأداء ورفع الكفاءة بما يساعد على تحقيق المقاصد الشرعية بما تتضمنه من حقائق ومفاهيم وقيم ومثل عليا .

ويؤكد هذا المفهوم ما أورده الامام البخاري في صحيحه في باب " طرح الامام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم " ( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م :١٤٧/١) [١]

## ٢,١١,٣ أهمية التقويم في التعليم النبوي

إننا حينما ننظر إلى الدين الإسلامي نجده قد أولى العمل اهتماماً كبيراً وحث عليه حثاً شديداً ، وفي مقابل ذلك رتب على الأعمال الصالحة معظم صنوف الجزاء والثواب ، كما رتب على الأعمال السيئة معظم صنوف الجزاء بالعقاب ، وجعل تفاوت درجات الناس في الأعمال سبباً في تفاوت درجاتهم عند الله .

وفي هذا السياق نجد تعدد الآيات القرآنية التي تشيد بالعمل وتوضح جزاؤه عند الله تعالى ، فمن ذلك نجد قول الحق تبارك وتعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً" وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [ سورة النحل : الآية ٩٧] وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [ سورة التوبة : الآية ١٠٥] .

من هنا نستطيع القول أن عمل الإنسان هو موضع الثواب والعقاب ، ولا شك أن هذا يؤكد ضرورة التقويم ليكون الثواب والعقاب في موضعه ، ولهدا نجد عهد النبوة يهتم بهذا الأمر اهتماماً عظيماً وسيتضح فيما يلي :

إن التعليم النبوي يسعى دائماً إلى تقدير جهود الناس والتيقن من مدى ادراكهم للعلم وادراكهم للمقاصد الشرعية التي شرعها الله تعالى .

فقد جاء في صحيح البخاري في باب طرح الامام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ما يؤكد أن الرسول ﷺ كان يهتم بمسألة التقويم اهتماماً عظيماً ليعرف مدى ادراك المتعلمين واستيعابهم للحقائق والمفاهيم التي علمهم إياها ، ويؤكد هذا حديث ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال: (( إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها وإنها مثل المسلم ، حدثوني ما

---

١ - انظر ، وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص ٢٦٣ - ٢٦٥.

هي ؟ قال : فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : فوقع في نفسي انها النخلة ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : هي النخلة )) ( ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ص١٤٧) ، فمنطوق الحديث يدلل بما لايدع مجالاً لريب أنه ‘ كان يقوم أصحابه ﷺ بين حين وآخر ليتأكد من مدى استيعابهم لحقائق الشريعة الإسلامية .

ويهتم التعليم النبوي بالتقويم لادراكه بأنه " عملية ايجابية فهو ليس معرفة الأخطاء أو اكتشاف نواحي الضعف أو معرفة المعوقات والصعوبات التي تواجه المتعلم ، ولكن التقويم يتضمن أيضاً القيام بخطوة أخرى ايجابية وهي المقاومة في التحسين وتذليل الصعوبات والارشاد لافضل الطرق لتحقيق الأهداف " ( بركات،١٩٨١م:ص٢٩١).

ولعل الذي يصدق على هذا الادراك أن الرسول ﷺ حينما رأى المسئ في صلاته لم يكن يقف عند حد معرفة الخطأ واكتشاف نواحي الضعف في أداء الرجل ، بل أنه ‘ قام بعد تقويمه لأداء صلاة الرجل إلى ارشاده وتوجيهه إلى الصورة المُثلى التي ينبغي أن تتبع لأداء الصلاة بشروطها وواجباتها ، ويظهر هذا جلياً من خلال الحديث الذي رواه أبو هريرة : (( أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ‘ جالس في ناحية المسجد ، فصلى ، ثم جاء فسلم عليه ، فقال الرسول ﷺ : وعليك السلام ، ارجع فصلي فإنك لم تصل ، فصلى ثم جاء فسلم فقال ‘ ، ارجع فإنك لم تصل ، فقال في الثانية أو في التي تليها ، علمني يارسول الله فقال : إذا قمت فاسبغ الوضوء ، ثم استقبل القبلة ، فكبر ثم اقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها )) ( مسلم ، ١٣٧٥هـ : ٤/١٠٦-١٠٧)

وتتضح أهمية التقويم في التعليم النبوي إذا ما علمنا أن ذاك العهد لم يكن يقتصر في تقويمه على جانب واحد من جوانب الحياة الانسانية ، بل إن عملية التقويم فيه شمل كل مناحي الحياة بأوسع معانيها ، وشمل كل شئ في شخصية الانسان الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، وما ذلك إلاّ لإيمان هذا العهد بأن الإنسان " ينمو جسمياً وعقلياً واجتماعياً ولغوياً وغير ذلك من مظاهر النمو المختلفة ، وكل هذه الظواهر يرتبط الواحد منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً " ( صالح، د.ت : ص٢١)

ولأجل ذلك نجده ‘ أول من دعى إلى التقويم الشامل واستخدمه استخداماً رائعاً ، فقد كان ‘ يرعى تقويم أصحابه ﷺ في الجانب الجسمي ، ويؤكد هذا حديث عبد الله بن عمر قال : (( دخل على رسول الله ﷺ فقال :

الم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت : بلى ، قال : فلا تفعل قُم ونَم وصُم وافطر ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك حقاً ، وان لزوجك عليك حقاً )) ( ابن حجر ،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م : ٥٣١/١٠) .

وشمل التقويم في التعليم النبوي الجانب العقلي عند الإنسان ، ويتضح هذا من خلال توجيهات الرسول ﷺ لأصحابه ﷺ ، ومن خلال الأسئلة الكثيرة التي كان يطرحها عليهم بغية " تعليم الانسان المسلم على أسلوب التفكير العلمي ، وتعلم الانسان المسلم على حب البحث والسعي وراء الحقيقة ، وتعليم الانسان على اسلوب التفكير التأملي والتعامل مع قوى الكون ، وتعليم الانسان المسلم على الاستفادة مما يتعلمه ، وذلك باستخلاص النتائج والتطبيق الذي يستفيد من نتائجه في نفع نفسه ونفع مجتمعه ، والمحافظة على الطاقة العقلية للانسان " ( سيد بكر ،١٩٨٣م: ص٢٠٠-٢٠١)

ومما يؤكد هذا المعنى الذي يسعى اليه التعليم النبوي من خلال تقويم الناس في الناحية العقلية ، ان النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث : (( اعلم ، قال : ما اعلم يارسول الله ، قال : اعلم يابلال ، قال : ماعلم يارسول الله ؟ قال : أنه مَن أحيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فإن له من الأجر مثل مَن عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئ ، ومَن ابتدع ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام مَن عمل بها لاينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً )) ( الترمذي،١٣٩٨هـ : ٤٢/٥) ، ويقول ﷺ : (( لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شئ فمَن خلق الله )) ( ابن حجر ،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٢٦٥/١٣)

وجدير بالذكر أنَّ رعاية التعليم النبوي في عملية التقويم امتدت لتشمل الجانب الروحي عند الإنسان ، ويدلل على ذلك أنه ‘ كان يثير دوماً عواطف الإنسان نحو خالقه ، ويؤكد على أصحابه ﷺ ضرورة الالتزام بمبادئ الدين الإسلامي ، ويؤكد لهم ان الله ﷻ " لم يجعل سعادة المرء في الحياة الآخرة منوطة بالبخت أو بقبيلة أو نسب أو عصر أوبلد ، وإنما ناطها بمقدار ما يقدمه المسلم في حياته الدنيا من الأعمال الصالحة مالياً وبدنياً " ( ابن عاشور، ١٩٧٦م،ص٥٩)

ولهذا فهو ‘ حينما يلاحظ أي تصرف يضر بعقيدة المسلم كان فوراً يقيمه ويصدر فيه حكماً وتوجيهاً ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة : (( أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً ، فقال : ماهذا يا صاحب الطعام قال : اصابته السماء يارسول الله ، قال :

أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس مَن غشَّنا فليس منا )) ( مسلم ،١٣٧٥هـ : ١٠٩/٢)

وإلى جانب كل ماسبق ان ذكرناه نجد أن التعليم النبوي أيضاً يهتم بالجانب الاجتماعي ، ويخضعه لعملية التقويم ، وذلك لأن من أهم الأهداف هذا العهد تنشئة الأجيال طبقاً لمعايير المجتمع المسلم وأحكامه ، ولعلنا نجد في حديث أبي سعيد الخدري ما يؤكد أن الرسول ﷺ قوّم أصحابه من الناحية الإجتماعية ، عن النبي ﷺ قال : (( إياكم والجلوس في الطرقات ، فقالوا : مالنا بدّ ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فإذا اتيتم إلى المجالس فاعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ، قال : غضُّ البصر ، وكفّ الأذى ، وردّ السلام وامر بالمعروف ونهي عن المنكر )) ( مسلم ،١٣٧٥هـ: ١٠٩/٢)

من كل ما سبق يتضح أهمية التقويم في التعليم النبوي ، ويتضح لنا مدى شموله وتوازنه , ولهذا ينبغي أن يعي كل مَن ينتمي إلى المهنة التعليمية هذه الأهمية ويخلص في أداء التقويم على وجه سليم ، خاصة أنه تأكد بما لايدع مجالاً للريب أن عملية التقويم تستمد اصولها وقواعدها من القضاء والحكم على الناس ولهذا ينبغي تحري الدقة فيه . ( انظر ، وزّان : ص٢٦٥- ٢٧٠)

## ٣,١١,٣ وسائل التقويم في التعليم النبوي

من خلال دراسة منهج العهد النبوي ، تبين لنا انها اتخذت وسائل كثيرة في عملية التقويم، ومرد هذه الكثرة يرجع إلى ادراكه الحقيقي لطبيعة المتعلمين وما بينهم من فروق فردية ، كيف لايهتم التعليم النبوي بهذا الأمر وهو القائل : (( حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب اللهُ ورسولهُ )) ( ابن حجر ،١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م : ٢٢٥/١)

ولهذا سنعرض وسائل وأساليب التعليم النبوي في عملية التقويم ، وبيان ذلك على النحو التالي :

١ - **السؤال والجواب** : ان مسألة السؤال في عملية التقويم من المسائل التي حرص الدين الإسلامي على الاهتمام بها واعطاها حقها من الرعاية والتوجيه ، وان المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنها أبرزت هذا الأسلوب بصورة جلية واضحة ، ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [ سورة البقرة : الآية ١٨٩] وقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ [ سورة

البقرة: الآية ٢١٥] وقله أيضاً : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [ سورة البقرة : الآية ٢١٧] ، فهذه الآيات وغيرها دليل كبير على مدى اهتمام لقرآن الكريم بأسلوب السؤال والجواب في تعليم الناس وتبصيرهم بأمور العقيدة الصحيحة ، بل ان القرآن الكريم وجه إلى ضرورة أن يسأل المعلم المتعلمين ليتأكد الفهم لديهم ويتم لهم التمكن مما يتعلمون ، وفي هذا السياق نجد قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [ سورة يونس : الآية ٩٤] وكذا قوله تعالى : ﴿ فسئَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [ سورة النحل : الآية ٤٣]

ولما كان التعليم النبوي يأخذ منهجاً من القرآن الكريم كان طبيعياً ان تنعكس خصائص القرآن الكريم على رؤيته التعليمية ونظامه ، ومن هذا المنطلق قام العهد النبوي على الأخذ بأسلوب السؤال والجواب كأحد أبعاد العملية التعليمية ، وأخذ به في تقويم المتعلمين وتدريبهم على فهم مقاصد الشرعة الإسلامية ، ولعلنا نستطيع تأكيد ذلك من خلال تلك المواقف التي كان الرسول ﷺ يسأل فيها أصحابه ، فمن ذلك ما رواه ابي بكرة حيث قال : (( خطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال : أتدرون أي يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله اعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى ، قال : أي شهر هذا ؟ قلنا الله ورسوله اعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذو الحجة ؟ قلنا : بلى ، قال : أي بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله اعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا بلى، قال : فإن دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا إلى تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فربّ مبلغ أوعى من سامع ، فلاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض )) ( ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٣/٥٧٣-٥٧٤)

ومن أمثلة استخدام التعليم النبوي في تعليمها وتقويمها ، ما رواه أنس بم مالك : (( أن النبي ‘ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً ، ثم قال : مَن أحب أن يسأل عن شئ فليسأل عنه ، فو الله لاتسألوني عن شئ إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا ، قال أنس : فأكثر الناس البكاء وأكثر رسول الله ان يقول : سلوني )) (ابن حجر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م ١٣/٢٦٥)

من كل ما سبق يمكننا القول أن الرسول ﷺ استخدم هذا الاسلوب استخداماً ذكياً واعياً كان له الأثر في تنشئة الجيل الأول من المسلمين ، وما ذلك إلا ليقينه بأن هذا الأسلوب يدفع المتعلم إلى المشاركة بالاسئلة

والاستماع والفهم والتساؤل عما لايدركه من الحقائق . ( انظر ، وزّان ،١٤١٣هـ١٩٩٣م: ٢٧١- ٢٧٣)

٢- **الحفظ والتسميع** : يعتبر اسلوب الحفظ والتسميع من أبرز الأساليب المستخدمة للتقويم في التعليم النبوي ، لكونه عاملاً مهماً للتيسير على تعليم بعض المواد والحقائق والمفاهيم الشرعية ، وفيه يقوم المعلم بتحفيظ المتعلمين جانباً من المعلومات ويطلب منهم الإلمام بها عن طريق المداومة والاستذكار ثم يقوم المتعلمون بعد ذلك بتسميع ما حفظوه امام معلميهم .

ويمتاز أسلوب الحفظ والتسميع بمميزات كثيرة لعل منها بقاء أثر التعليم لدى المتعلمين ، وقدرته على اكساب المتعلمين أكثر من المهارات التذوقية للنصوص المحفوظة ، هذا فضلاً عن أنه يعين على صقل مواهب الموهوبين ومساعدتهم على التلقي ومن ثم يصبحوا قادرين على نطق الحروف نطقاً صحيحاً واخراجها من مخارجها الصحيحة أيضاً .

وان المتتبع للتعليم النبوي يجد أنه أولى هذا الأسلوب اهتماماً كبيراً، ويتضح ذلك من أخذه في تقويم وتعليم الصحابة ﷺ القرآن الكريم، ولقد أخذ الرسول ﷺ بهذا الأسلوب نظراً لتمشيه مع طبيعة الصحابة ﷺ فقد " كانوا أمة يضرب بها المثل في الذكاء وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر، حتى لقد كان الرجل منهم ربما يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر وطال " . ( الزرقاني،د.ت:ص٢٨٦)

ولقد كان الرسول ﷺ سيّد الحفّاظ، فقد كان ﷺ يجهد نفسه لأجل حفظ القرآن الكريم ، ويحرك لسانه بالقراءة أثناء الوحي إليه استعجالاً لحفظه وخوفاً من أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف ، حتى طَمْأَنَهُ الله تعالى ووعده الله أن يجمعه في صدره،ويهئ له قراءة لفظه وفهم معناه ، ويؤكد هذا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَـهُ فَـٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة:الآية ١٦-١٩] بعد ذلك كان الرسول ﷺ ينصت لجبريل .

لقد كان جبريل عليه السلام يعارض الرسول ﷺ القرآن في كل عام مرة، وفي العام الأخير الذي توفى به مرتين ، فقد كان الرسول ﷺ يقرأ وجبريل يسمع، أو جبريل عليه السلام يقرأ والرسول ﷺ يسمع ، ففي الحديث قوله ﷺ : (( إن جبريل كان يعارضني القرآن مرة واحدة كل سنة ، وانه عارضني العام مرتين )) ( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:٤٣/٩)

ومن مؤشرات استخدام التعليم النبوي لإسلوب الحفظ والتسميع في التقويم والتعليم، ما روى عن أحد الصحابة ﷺ قوله : (( كنا على عهد

رسول الله ﷺ لاتتعدى العشر آيات حتى نحفظهن ونعي ما فيهن ونعمل بهن )) ( ابن كثير:د.ت: ٣/١).

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ التعليم النبوي لم يكتفي باستخدام طريقة الحفظ والتسميع فحسب، بل أنه أخذ على عاتقه الترغيب فيه والتوجيه إليه ، ووصى كل مَن يتولى العمل التعليمي باستخدام هذا الاسلوب خاصة في تعليم القرآن الكريم ، ولعلنا نجد دليل ذلك في قوله ‘ : (( مثل القرآن مثل الإبل المعلقة ان تعاهدها صاحبها بعقلها امسكها عليه ،وان اطلق عقلها ذهبت )) ( ابن ماجه،١٩٥٣م :١٢٤٣/٢)

ومما تجدر الاشارة إليه ان التعليم النبوي حينما يعمل على إهتمام بمسألة الحفظ والتسميع فإن ذلك يعود إلى ادراكه التام لما تختص به الطبيعة البشرية من صفات وسمات لعل منها قضية النسيان ، ولهذا نجد السنة النبوية قد وجهت إلى ضرورة تعهد القرآن بالحفظ والمداومة على القراءة تجنباً لنسيانه . ( انظر ، وزّان ،١٤١٣هـ١٩٩٣م: ٢٧٣- ٢٧٦)

٣- **أسلوب الملاحظة** : تعتبر الملاحظة من أكثر وسائل التقويم أهمية في ميدان التعليم بعامة ، ذلك لأن المعلم يستطيع ان يستخدمها بسهولة حيث يلاحظ سلوك المتعلمين ملاحظة مباشرة ومن ثم يستطيع ان يقوم هذا السلوك ويوجهه الوجه السليمة من كل الجوانب، وما ذلك إلا لأن أسلوب الملاحظة كوسيلة من وسائل التقويم يستطيع أن يكشف عن نواحي عديدة قد لايمكن الكشف عنها عن طريق أساليب أخرى .

وإن المتتبع لمنهج التعليم النبوي يلاحظ أن هذا العهد استخدم أسلوب الملاحظة لأغراض تعليمية كثيرة، فمن ذلك استخدمه لمعرفة القدرات العليا عند المتعلمين،ومدى قدرتهم على التفكير والاطلاع والبحث، والقدرة على وزن قيم الأدلة الشرعية والاستنتاج والمناقشة وابداء الرأي ، ومنه أيضاً استخدام هذا الأسلوب في التحذير من الحرام وتأديب الناس وارشادهم إلى سبل الرشاد .

والرسول ﷺ إستخدم هذا الأسلوب في تعليم الصحابة ﷺ وتقويمهم لكي يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته وتفقده لهم، وسؤاله عنهم ، ومراقبة أحوالهم ، ومحاذرة مقصريهم وتشجيع محسنيهم .

والرسول ﷺ حينما يستخدم هذا الأسلوب في تقويم أصحابه ﷺ وتعليمهم ،فإنما ذلك لدراكه بأنه من أقوى الأسس في ايجاد الانسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسؤولياته ويطلع بواجباته على أكمل وجه .

ومن المواقف التي تدلّ على إستخدام رسول الله ﷺ الملاحظة في تقويم الصحابة ﷺ ، ما صحّ عنه ' أنه رأى بعض الصحابة ﷺ يشرب شَرْباً واحداً فلمّا رأى الرسول ﷺ ذلك قال: (( لا تشربوا واحداً واحداً كَشَرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمُّوا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا انتم رفعتم )) ( الترمذي، ١٣٩٨هـ:٢٦٧/٤).

من كل ما سبق يتضح لنا بعض النماذج التي تؤكد استخدام التعليم النبوي لأسلوب الملاحظة في تقويم أداء وسلوك الناس ، ويؤكد مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته واصلاحه ، وهي نماذج حية واقعية حرص الرسول ﷺ في تعليم الصحابة ﷺ ، ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم والرفع من مستواهم . ( انظر ، وزّان ،١٤١٣هـ١٩٩٣م: ٢٧٦- ٢٧٩)

٤- **أسلوب اللقاءات الفردية** : يعتبر اسلوب اللقاءات الفردية من أبرز وسائل التقويم التي يمكن التعرف من خلالها على أمور كثيرة قد يصعب الوصول إليها عن طريق الأساليب التقويمية الأخرى، فهذا الأسلوب يساعد المعلم لأن يتعرف على مدى استجابة المتعلم للمواقف التعليمية المتنوعة ، وذلك مثل الشدة والضعف في الاستجابة أو التعبير المشحون بالانفعالات ، فكل هذه الأمور وغيرها يصعب على المعلم أن يعرفها ويصل إليها من غير هذا الأسلوب التقويمي .

وإن المتأمل في منهج التعليم النبوي يجد أن فيه الكثير من اللفتات التي تؤكد إستخدام اسلوب اللقاءات الفردية في عملية التقويم ، ولعل من أبرز الأدلة على ذلك حديث معاذ بن جبل قال : (( بينما أنا ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل ، فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك رسول الله وسعديك ،ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ ، قلت :لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ، قلت :لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ ، قلت :لبيك رسول الله وسعديك قال: هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله اعلم ، قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم سار ساعة ثم قال:يا معاذ بن جبل قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، فقال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت: الله ورسوله اعلم ، قال:حق العباد على الله ان لايعذبهم )) ( ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م :٣٩٧/١٠-٣٩٨)

فالحديث يشير بصورة جلية الإستخدام الرائع لإسلوب اللقاءات الفردية من قبل الرسول ﷺ ، ويوضح أن الرسول ﷺ سلك هذا المسلك

ليجعل جيل المسلمين ينشئون التنشئة السليمة ، وكان الرسول ﷺ يستخدم هذا الأسلوب بغية الوصول إلى فكرة معينة يعجز الصحابي عن الجواب عنها ، فيسأل الرسول ﷺ فيجيب فيعلمه .

ومن المواقف التي تؤكد أن التعليم النبوي قد استخدم اللقاءات الفردية في تقويم الصحابة ﷺ وتعليمهم حديث أبي ذر قال : (( كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة فاستقبلنا أُحُد فقال: يا أبا ذر، قلت : لبيك يارسول الله ، قال: ما يسرني ان عندي مثل أحدٍ هذا ذهباً تمضي على ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئاً ارصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم مشى ثم قال : ان الاكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم ، ثم قال لي: مكانك، لاتبرح حتى آتيك ، ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى ، فسمعت صوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ، فاردت أن آتيه، فتذكرت قوله لي : لاتبرح حتى آتيك ، فلم أبرح حتى اتاني ، قلت: يارسول الله ، لقد سمعت صوتاً قد تخوفت ، فذكرت له ، فقال: وهل سمعته ؟ قلت : نعم قال: ذاك جبريل أتاني فقال : مَن مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق)) (ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م:١١/٢٦٣-٢٦٤)

ومن مؤشرات التي توضح لنا اهتمام الرسول ﷺ باسلوب اللقاءات الفردية في عملية التقويم ماجاء في حديث عائشة قالت : (( أوْمَت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب إلى رسول الله ﷺ ، فقبض النبي ﷺ يده فقال: ما ادري أيد رجل أم يد امرأة ، قالت: بل امرأة ، قال: لو كنت امرأة لغيرت أظافرك )) يعني بالحناء. (أبو داؤد، ١٣٧١هـ:٤/٧٧).

ونستطيع القول بأن الرسول ﷺ حينما يوجه إلى هذا الإستخدام لإسلوب اللقاءات الفردية ، فإن توجيهه بين لنا فلسفة التعليم الإسلامي في التعليم النبوي ، ويوضح لنا تاريخه ﷺ كل الأساليب والإجراءات لتعليم الصحابة ﷺ تعليماً صحيحاً سليماً . ( انظر: وزّان ،١٤١٣هـ١٩٩٣م: ٢٧٩- ٢٨٢)